ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم خلال المرحلة المغربية

296-362هـ/909-973م

د.خالد حسين محمود

كلية الآداب- جامعة عين شمس

ملخص البحث:

يسعى البحث إلى الكشف عن ظاهرة العنف التي ميزت سياسة الفاطمين في بلاد المغرب،استناداً إلى تشريع العنف وتسويغه سياسياً وأخلاقياً ودينياً،واستباحة دماء المخالفين وسبي حريمهم ونهب ممتلكاتهم من خلال ادراجهم في عداد الكافرين،كذا اعتماد العنف وسيلة مثلى لمواجهة الضغط الذي تعرضت له السلطة الفاطمية بسبب حالة الفوضى السياسية التي أفرزتها كثرة المواجهات الحربية.وقد تعددت مظاهر ذلك العنف من خلال استخدام وسائل القتل والتنكيل والابادة الجماعية والحرق والتدمير والسبي والنهب والحصار والسجن وقطع الرؤوس وبتر الأعضاء والصلب ونبش القبور والتعذيب بشتى ألوانه،واتباع سياسة مالية جائرة.وتنوعت ردود أفعال الرعية تجاه هذا العنف بين التماهي والاستسلام والامعان في التزلف والمداهنة،والهروب إلى ساحة الزهد

والتصوف،والالتجاء إلى المقاومة سواء السلبية أو المسلحة.وتبين من الدراسة أن عنف الفاطميين كان موجهاً بشكل كبير إلى المالكية ،نتيجة اتساع قاعدتهم الشعبية ،وقيامهم بدور النخبة الرافضة لسياسات الحكام الفاطميين.كما أن المذابح الجماعية التي تعرض لها بقايا الشيعة بافريقية عام407هـ/1016م كانت تنفيثاً لحالة الغليان التي سببتها أعمال العنف الفاطمي تجاه الرعية .

مدخل تمهيدي:

من المتعارف عليه عند أهل الفكر السياسي من القدامى[1]والمحدثين[2]وجوب السلطة وضرورتها،واستحالة الاستغناء عنها.

ومع تداخل المجالين الديني والسياسي بشكل كبير في العصر الوسيط[3]،وفي ظل تشكل الدولة السلطانية الفردية المرتبطة في مخيلة العصر بمفهوم الغلبة والقهر

([1])الماوردي:الأحكام السلطانية والولايات الدينية،دار الحديث،القاهرة،د.ت،ص15،الغزالي:كتاب الاقتصاد في الاعتقاد،عارض أصوله وقدم له إبراهيم آكاه وحسين آتاي،أنقرة،1962،ص236،النسفي:شرح العقائد النفسية،تحقيق طه سعد،المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة،2000،ص137،الشهرستاني:نهاية الإقدام في علم الكلام،حرره ألفرد جيوم،مكتبة المثنى،بغداد،د.ت،ص478،ابن خلدون:المقدمة،حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادي،بيت الفنون و العلوم و الآداب ،الدار البيضاء،2005،ج1،ص330،ابن تيمية:السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد احمد عاشور،مطابع دار الشعب،القاهرة،1971،ص31 .

([2]) ثروت بدوي:النظم السياسية،دار النهضة العربية،القاهرة،1986م،ص40،رضوان السيد:"المجتمع والسلطة:إشكاليتا الاستمرار والوحدة"،مجلة الفكر العربي،العددان 33-34،أغسطس 1983،ص4،علي أومليل:"الإسلام والدولة الوطنية"،مجلة الفكر العربي،العددان 33-34،أغسطس 1983،ص442.

والاستطالة[4]،ونتيجة غياب مرجعية قانونية للمعاقبة،ومؤسسات منظمة للعلاقات بين الحاكم والمحكوم،اعتمد حكام العصر ذوو النزوع الاستبدادي على القوة والتسلط والعنف والصرامة كمقومات للحكم[5]،فتجاوزا العقوبات الشرعية،وجنحوا إلى امتلاك وسائل الإخضاع والاستتباع،لفرض القوة والسطوة،وكبت الحريات[6]،وانتهاك الكرامة،وزرع الخوف في المجتمع،كضامن أساس لاستمرار الحكم،وضمان صلابته،وتحقيق مصالح ذاتية[7] .

ولعل مطالعة نصوص التراث تكشف عن ذلك بجلاء،وتفصح عن تفاقم ظاهرة العنف كمعلمٍ بارزٍ في تاريخ السلطات الحاكمة،وبشكل اعتيادي وراسخ في ذهنية الفرد

([3])الغزالي:إحياء علوم الدين،نشر مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا ،سماراغ،اندونيسيا،د.ت،ج1،ص14،عبد المجيد الصغير:الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام،قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة،دار المنتخب العربي،ط1 1994م،ص9،على أومليل:"السلطة السياسية والسلطة العلمية:الغزالي،ابن تومرت،ابن رشد"،ضمن ندوة:أبو حامد الغزالي:دراسات في فكره وعصره وتأثيره،كلية الآداب،الرباط،1988،ص 12.

([4])ابن خلدون:م.س،ج1،ص ص 326،322،227،ج2،ص262 ،الداعي إدريس:تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)،تحقيق محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1985م،ص478؛عبدالله العروي:مفهوم الدولة،المركز الثقافي العربي،الدر البيضاء،ط9، 2011م،ص145.

([5]) ثمة ثلاثة أوجه أو كيفيات أساسية لممارسة السلطة:الكيفية القسرية:بممارسة القوة والعنف والإكراه لكسب الخضوع،والكيفية التعويضية:بالاعتماد على الثروة والمال والهبات والهدايا،والكيفية التلاؤمية:باعتماد الحوار وتبادل الرأي والتوافق مع الآخر واحترامه وعدم اضطهاده لإخماد صوته واغتصاب ولائه.انظر سالم القلموني:سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة،مكتبة مدبولي،القاهرة،1999م،ص 38-39.

([6]) العروي:م.س،ص145.

([7]) منصور اولسون:السلطة والرخاء،ترجمة ماجدة بركة،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،2003 ،ص ص51، 61.

والمجتمع،وبتسويغٍ ومباركةٍ من فقهاء السلطة وكتابها وشعرائها الرسميين،إلى حد الإطناب والإشادة بهذا العنف كمظهر من مظاهر تمجيد السلطة،ونجاحها في دحر خصومها،وقهر مناوئيها،وتقليم أظافر غير المنسجمين مع توجهاتها[8].

من الصعوبة بمكان وضع تصور منهجي يضمن عرضاً موضوعياً –دونما احتواء أيدلوجي–في موضوع ملتهب كظاهرة العنف في سياسة الفاطميين،في ظل غياب مصدر محايد تماماً يتناول الأحداث بمنطقية الباحث وبعقلانية المؤرخ،فضلاً عن الاعتماد شبه التام في استقاء المادة العلمية على مصادر مالكية أوغلت في سنيتها،وخلطت تعظيم البطولة بالدعاية المعادية للفاطميين،وغصت بالآراء المفعمة بالعداء المستأصل،فأمعنت في ثلبهم،وهولت من سياستهم في القمع والاضطهاد والتعذيب والتصفية الجسدية[9]،وأخرى رسمية إسماعيلية[10]مفرطة في شيعيتها أطنبت

([8]) تتجلى تلك الرؤية في كتابات الفاطميين.انظر:ابن حيون المغربي:كتاب افتتاح الدعوة،تحقيق فرحات الدشراوي،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1975م، ص171،كتاب المجالس والمسايرات،تحقيق الحبيب الفقي وآخرون،دار المنتظر،بيروت،1996م،ص418، إدريس:م.س، ص ص474-475.

([9])تند تلك المصادر عن الحصر،منها على سبيل المثال:ابن النديم:الفهرست،تحقيق إبراهيم رمضان،دار المعرفة،بيروت،1997،ص233،المالكي:رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية،تحقيق بشير البكوش،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط2،1994،ج2،ص504-505،اللبيدي:مناقب أبى إسحاق الجبنيانى،تحقيق روجيه إدريس،باريس،1959،ص65،الذهبي: سير أعلام النبلاء،تحقيق:شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط9،1413هـ ،ج 15،ص154.

(10) عن مؤلفات كتامية مبكرة مفقودة انظر:

Poonawala, Ismail, Bibliography of Ismaili Literature,Malibu,Californa, 1977,pp.48-68.

في الترويج للحرص الدءوب للحكم المركزي على التمسك بناموس العدل،والسير على مبدأ الإحسان إلى الرعية والرفق بها،وقبض يد الجور عنها،وإزالة الغشم منها،والتعامل معها بالصفح والعفو والرحمة والشفقة واللطف[11].ومهما تم الادعاء بتوخي الحذر تجاه النصوص المعتمدة والتي تبنت لغة الأرقام،أو تلك التي غلفتها المبالغة والتهويل في تقدير حجم الخسائر البشرية[12]،إلا أن ذلك لا يحجب حقيقة العنف كظاهرة غلبت على سياسة الفاطميين،والذي بلغ حداً من الشمولية عمت مناحي الحياة السياسية والاجتماعية،وصبغت المجتمع بطابعها المأساوي،وخلفت نتائج ديموغرافية كارثية في بعض المناطق،وهي حقيقة تردد صداها حتى على ألسنة الفاطميين أنفسهم،فها هو المهدي لا يخفي تلذذه بتصفية مخالفيه بشتى أصناف التعذيب واستعذابه أن يرى وفودهم يتضرعون بين يديه"واستغاثتهم وسؤالهم ورغبتهم واسترحامهم"[13]،وفي آخر خطبة له قبيل رحيله للمشرق عدد المعز الفاطمي مظاهر العنف والتصفية الجسدية التي

---

(11) على سبيل المثال ابن حيون:افتتاح،ص ص254، 256، 271، 273، 298، 334، 335، 336،المجالس،ص ص69-70،92،المناقب والمثالب،تحقيق ماجد العطية،منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات،بيروت،2002م،ص ص398،397،399،الرسالة المذهبة،تحقيق عارف تامر،دار الإنصاف،سوريا،1956م،ص77،كتاب الاقتصار،ص75 ،الجوذري:سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الفاطميين،تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي،دار الفكر العربي،بيروت،1954م،ص ص63 ،101،إدريس:م.س،ص ص36،138،177،245 ، 263، 379.

([12]) قد تخفف البحوث الاركيولوجية مستقبلاً حدة تلك المبالغات بالكشف عن مقابر جماعية لقتلى الكوارث البشرية.وعن المقابر الجماعية بالمغرب الوسيط انظر:الذهبي:تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ،تحقيق شار عوّاد معروف،دار الغرب الاسلامي،بيروت،2003م ،ج7،ص460،ابن غازي:الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،تحقيق عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،الرباط،ط1988،2م،ص19.

([13]) ابن حيون:المجالس،ص446.

مارسها أسلافه ضد "أهل العناد منهم من أغرقنا ومنهم من دمرنا ومنهم من أهلكنا..فلما أسرفوا انتقمنا منهم بعباد لنا أولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا"[14]،كما لم تخل خطب الخلفاء من لغة التهديد والوعيد،والتلويح باستخدام العنف لمواجهة التمرد والعصيان؛كوسيلة لبث الخوف والرعب وترسيخ الهلع في قلوب الرعية،فما أن استقر المهدي بالقيروان حتى أرسل بكتاب يُقرأ على منابر افريقية توعد فيه "كل من نكث عليه وخان أمانته ونقض عهده وخفر ذمته..في الخلاف عليه وإطلاق الفتنة من عقالها،وكل من أوقد عليه نار الحرب،أحرقته بنارها وكلمته بأظفارها...حتى يقمع الكفر والإلحاد ويدوخ أطراف البلاد"[15]،وهدد مخالفيه بأشد ألوان "البأس والنقمة والدمار والهلكة"[16]،وجاء على لسان المعز في إحدى خطبه:"أنا الحبل من تمسك بي نجى،ومن تخلف عني هلك وهوى ...من عصى أمري واتبع هوى نفسه ضل وغوى،ونزل به سخطي،وحل ساحته نقمتي،وأخذه العذاب من كل مكان وباب...ونزعت عنه النعمة..وأهرقت دماءكم واستحلت وعظم الفساد فيكم وهتكتم حريمكم،وسعيتم في خراب دياركم بخلافكم لنا وانحرافكم عنا"[17]،كما جرت عادة الفاطميين باتخاذ منابر

([14]) الداعي إدريس:زهر المعاني،تحقيق مصطفى غالب،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،1991م،ص233.

([15]) ابن حيون:افتتاح،ص297، إدريس:تاريخ،ص173.

([16]) ابن حيون:م.س،ص253.،ص100.

([17]) إدريس:زهر المعاني،ص233.

افريقية وسائل إعلام تتلى من خلالها مناشير السلطة المتضمنة مظاهر تسلطها على مخالفيها بقتل الأنفس،وغنيمة الأموال،وسبي الذراري[18]،والتباهي بأنه قد "ذلت الرقاب وأطاعت"[19].

هكذا بات العنف كامناً في بنية خطاب السلطة[20]،انطلاقاً مما شاع في ثقافة العصر بأن:"الملك إنما يحصل بالتغلب"[21] وأنه "يُنتدب لطلب الملك أولو القوة،ويتوثب عليه ذوو القدرة"[22]،وما ترسخ في ذهنية الحكام من أن سطوتهم وهيبتهم وخوف الرعية منهم هي دعامات كبرى لنفاذ حكمهم واستمرار سلطانهم[23]،وعليه،تجلت لغة التعالي السلطوي والتفاخر بالسطوة والقوة والملكوت،وتقنيات الخوف والترهيب عند الفاطميين[24]،فبعد إسقاطه لدولة الأغالبة بعث أبو عبدالله الشيعي بكتاب قُرء على كل

([18]) ابن عذاري: كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال،ط3،دار الثقافة،بيروت، 1983،ص 162،165، 170، 204،إدريس:تاريخ،ص475-476.

([19]) إدريس:زهر المعاني،ص229.

([20]) يُقصد بخطاب السلطة ما يصدر عنها من إنتاج كلامي مكتوب أو منطوق أو رمز تعبيري موجه إلى جمهور مستهدف لإقناعه وتوجيهه إلى مقاصدها.محمود عكاشة:خطاب السلطة الإعلامي،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،القاهرة،،ط2،2007،ص28.واعتبر ميشيل فوكو أن الخطاب ينتج السلطة ويقويها.انظر كتابه:إرادة المعرفة،ترجمة جورج أبي صالح،مركز الإنماء العربي،1990،ص109،ثم تابع مقال الزواوي بغورة:"الخطاب بين المجتمع والسلطة والمقاومة"مجلة إبداع،مصر ، مج 18، ع 6 ،يونيو 2000م،ص ص136-142.

([21]) ابن خلدون:م.س، ج1،ص ص 326،322،227، ج2،ص262.

([22]) الماوردي:تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك،تحقيق ودراسة رضوان السيد،دار العلوم العربية،بيروت، 1987،ص88.

([23]) ابن حيون:المسايرات،ص70،الغزالي:التبر المسبوك في نصيحة الملوك،تحقيق محمد مصطفى أبو العلا،مكتبة الجندي،القاهرة،د.ت،،ص8،الرازي:معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،بيروت،1979م، ج3،ص95.

([24]) ابن حيون:المسايرات،ص70،ابن عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى،القاهرة،د.ت ، ج2،ص602.

منابر افريقية افتخر فيه بقدرته على اكتساح المغرب وإذلال أهله حتى انقادت إليه"الأمور بأزمتها،وسلست أعنتها"[25]،وفاخر المنصور في إحدى خطبه بما أوتي من وسائل الغلبة والقهر،والتي تزيل الجبال وتخرق البحار[26]،معتبراً إياها من بهاء الخلافة وسناء قدرها وجلالها ونافذ سلطانها وساطع برهانها[27]،ومظهراً من مظاهر الإعزاز والظفر والنصر والتعالي والسطوة[28]،وحض المنصور أحد عماله"حضاً شديداً على الصرامة وأن يكون مراً مريراً شرساً،فانه في بلد قد أسكرت أهله النعمة وأبطرهم الإحسان واعتادوا ..أشياء لا يخرجها من رؤوسهم إلا السيوف،وليكن صعباً مستصعباً"[29]،وفي السياق ذاته افتخر المعز بكثرة ما عنده من الجند والعساكر[30]،مما زرع "هيبته في صدور الناس"[31] و"شدد من سلطانه وأكد من عزه وبسط من قدرته"[32]،وتوعد مخالفيه قائلاً"لو ظفرنا بهم لما حكمنا فيهم إلا بالقتل أو..الملك والسبي"[33]،بل وصل الأمر بأحد

([25])ابن حيون:افتتاح،ص271.

([26]) ابن حيون:المسايرات،ص419.

([27]) إدريس:تاريخ،ص460.

([28]) الجوذري:م.س،ص59.

([29]) الجوذري:م.س،ص71.

([30]) ابن حيون:المسايرات،ص189.

([31]) النويري:نهاية الأرب في فنون الأدب،ج28،تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت فواز،دار الكتب العلمية،بيروت،2004م،ص55.

([32])ابن حيون:المسايرات،426.

قادة الفاطميين ويدعى خليل بن إسحاق في مجلس حضره جماعة من وجوه الناس أن يتفاخر بكثرة أعداد المقتولين على يديه من الرعية بقوله:"إني قتلت ألف ألف يقوله المكثر،والمقل يقول مائة ألف"[34].

وفي زمن مثّل فيه الجيشُ محوراً مركزياً للسلطة[35]والسيفُ تقنية ثمينة للسمو والتفوق والتأكيد على الهيمنة وسعة النفوذ،والحد من أي تحقير لها أو إهمال لسطوتها[36]،حرص الفاطميون على الحضور بثقلهم العسكري،والإبقاء على قوات مسلحة قوية ومكلفة وقادرة على كبح جماح المناوئين[37]،كما أولو اهتماماً ملحوظاً بإبراز مظاهر القوة والهيمنة من خلال استعراض قوة الجيش وحسن تنظيمه وكثرة أفراده[38].

مولدات استيهام العنف ومبرراته في ذهنية الفاطميين.

---

(33)نفسه، ص 179 .

(34) ابن عذاري:م.س، ج1،ص215 .

(35) ابن حيون:دعائم الإسلام،تحقيق آصف بن علي فيضي،دار المعارف،القاهرة،1963م، ج1،ص357.

(36)ابن الأزرق:بدائع السلك في طبائع الملك،تحقيق علي سامي النشار،وزارة الإعلام،العراق،د.ت،جـ1، ص 196 .

(37)ابن حيون:افتتاح،ص303،المقدسي:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،مكتبة مدبولي،ط3،1991،ص243، ،ابن عذاري:م.س، ج1،ص309ابن الخطيب:تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني،دار الكتاب،الدار البيضاء،1964م،ص51،إدريس:تاريخ،ص177.

(38)ابن حيون:افتتاح،ص ص193،292،ابن حماد:أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر،القاهرة،ص39، إدريس:تاريخ،ص176،المقريزي:المقفى الكبير،تحقيق: محمد اليعلاوى،دار الغرب الإسلامي،1991،جـ2، ص 130.

لغوياً تم تعريف العنف بأنه:الخرق بالأمر وقلة الرفق والرأفة،ليشمل كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ والتقريع[39]،وفي كثير من التفسيرات الاجتماعية والنفسية يُعرف بأنّه:السلوك المؤدي للمس بالآخر سواء كان جسمانياً أو نفسياً،انطلاقاً من ثقافة عدم الاعتراف بحقوقه المادية والمعنوية،مما يؤدي إلى فرض وتكريس روح وآليات الاستبداد على مختلف أشكاله وألوانه[40].ويأخذ العنف بُعداً سياسياً حين يتم استخدامه–سواء بالاعتداء الجسدي أو الشفهي–لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين لتحقيق أهداف سياسية[41].وفي ظل الدولة التي تتدثر بالدين يكون العنف أشد ضراوة؛حيث يسهل إيجاد مبررات دينية كافية من خلال توظيف النصوص المقدسة،وتأطير المسوغ

(39) ابن منظور:لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط3، 1994،ج9،ص257،المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،2005،ص631،جميل صليبا:المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ج2، ص112.

(40) اليزابيث بيكار وآخرون:ظاهرة العنف السياسي من منظور مقارن،مركز البحوث والدراسات السياسية،جامعة القاهرة،القاهرة،1995،ص16؛ رفيق سكري:"العنف الفكري والدعاية السياسية"،مجلة الفكر العربي،معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية،ع71،مارس 1993م،ص116،زيد بن علي الفضيل:"العنف في الخطاب الفكري وتداعياته:التأثير السياسي على جدلية العلاقة بين الحقيقة و المجاز في خطابنا الفكري الإسلامي"،مجلة المسار،مج 12،ع3 ،2011،ص84،خليل أحمد خليل:"سوسيولوجيا العنف"،مجلة الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،لبنان،ع 27 ،28،1983م،ص19.

(41) Levin,R.A,Campbell,D.T, Ethnocentrism: Theories of Conflict, Ethnic Attitudes, and Group Behavior, New York,1972,pp.257-258,Paul Wilkinson, terrorism and the liberal state, New York,1977,p.30

القانوني والاجتماعي لتغليف العنف المادي والمعنوي للحكام،بغية إحكام السيطرة، وفرض القمع،وتصفية الخصوم،ومصادرة كل مظاهر الحريات[42].

ثمة جملة من السمات والخصائص النفسية المشتركة لا تخلو منها أي سلطة:كالرغبة في الاستقرار والاستمرار في السلطة،والهيمنة والإخضاع وضمان الولاء،ودفع المعارضين وإزاحتهم عن الساحة،وإقصاء المناوئين والخارجين عن الطاعة،والحفاظ على أمنها ومصالحها والسعي في تحقيق أهدافها الخفية والمعلنة،فضلاً عن اتخاذها من العنف ستاراً تواري خلفه فشلها في استخدام كيفيات ووسائل أخرى أكثر مرونة وأكثر أخلاقية،وتشكل تلك الخصائص ما يمكن تسميته بـ"سيكولوجية السلطة" أو "البنية النفسية للسلطة"[43].

إن محاولة النبش في تاريخ العنف الذي ميّزَ سياسة الفاطميين في بلاد المغرب؛لا تتأتى بمعزل عن المبدأ العام الذي قدمت فيه السلطة نفسها كمركز وحيد لممارسة العنف بعد شرعنته من خلال توظيف الدين[44]،وتكريس شتى الطقوس بما في

([42]) العروي:م.س،ص ص 115-116،الفضيل:م.س،ص86،عبد الناصر حريز:الإرهاب السياسي دراسة تحليلية،مكتبة مدبولي،القاهرة،1996،ص48.

([43]) القلموني:م.س،ص ص21، 51،كولن ولسون:سيكولوجية العنف،ترجمة رفعت السيد علي،جماعة حور الثقافية،2001،ص111.

([44]) في حين أكد عبد الجواد ياسين أن "التاريخ السياسي كامن خلف تاريخ العقيدة والفقه والأصول"(انظر كتابه:السلطة في الإسلام:العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ،الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،1998م،ص92)اعتبر ياسر الهلالي "تاريخ مركزية النص المقدس هو تاريخ إعدام الخصوم".(انظر مقاله:"عنفنا الأليف و مستقبلنا المخيف"،مجلة فكر ونقد، المغرب، ع 55،يناير 2004،ص101).

ذلك الخرافات[45]،لتثبيت شرعيتها وإضفاء القداسة عليها[46]،وترسيخ هيبتها وغلبتها وتحطيم القوى المنافسة لها[47]،وإضافة حرمة اللاهوت لجبروت الغلبة والقهر[48]،لتجاوز العقوبات الشرعية،وتحقيق أعلى قدر من الردع [49]،فيما يعرف بـ"العنف المقدس"[50]،والذي كرس له فقهاء السلطة المتغلبة،ونقلوه إلى مستوى الحقيقة[51]؛حين جعلوا من الإسلام مطيةً لترسيخ منظومة ثقافة الاستبداد والتسلط،وحاطوا السلطة بهالة القداسة واعتبروها غير قابلة للنقاش أو التساؤل،وفرضوا على الرعية الإذعان والطاعة لها،وأدرجوا المخالفين لها ضمن دائرة الزندقة والهرطقة[52]،وجرموا مجرد التعبير عن

([45]) حسين الصديق:الإنسان والسلطة:إشكالية العلاقة وأصولها الإشكالية،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2001،ص16.

([46]) العروي:م.س،ص143.

([47]) انظر كيف اعتبر هادي العلوي الأحكام السلطانية في مجملها مطالب أكثر منها وقائع. فصول من تاريخ الإسلام السياسي،مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي،قبرص،1999، ص6.

(48) محمود إسماعيل:"من سمات الخطاب السلطوي إزاء نشاط المعارضة في الإسلام"،أدب ونقد ،مصر،مج 5، ع 42، 1988 ،ص29.

([49]) إدريس:تاريخ ،ص226.

([50]) محمد أركون:نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي،ترجمة هاشم صالح،دار الساقي،بيروت،1997،ص37.

([51]) انظر بهذا الخصوص :كمال عبد اللطيف:في تشريح أصول الاستبداد:قراءة في نظام الآداب السلطانية،دار الطليعة،بيروت،1999م.

([52]) محمود إسماعيل:"فقهاء الرب وفقهاء السلطان"،أدب ونقد،مصر، ع 226، 2004 م،ص33.وحول تبعية الأحكام لقهر السلطة انظر:ابن بشكوال:الصلة في أخبار أئمة الأندلس،نشر السيد عزت العطار،القاهرة،ج1966،2،حكام،تقديم إحسان عباس،بيروت،1983،م2،ص167،ابن بسام:الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،الدار العربية للكتاب،تونس،ج1981،5،ص180-181،ابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،تحقيق محمد أحمدي أبو النور،القاهرة،1972م،ج1،ص382.ومما وورد على لسان القاضي ابن حيون وهو يبرر انتصابه للدفاع عن الفاطميين" أدخلنا في هواهم حَلْواهم".الذهبي:تاريخ،ج8،ص221.

المقاومة واعتبروه "فساد للدنيا وإفساد للدين"[53]،وإن أنظمةً هذه بنيتها لا يمكن أن يفلح في حكمها سوى حكام يتميزون بالقسوة والاستبداد وسفك الدماء[54].

لم يشذ الفقه السياسي الفاطمي عن تلك الرؤية؛فارتكز على تشريع العنف وتسويغه سياسياً وأخلاقياً بأدلة شرعية مزعومة،ففضلاً عن الطابع الثيوقراطي الذي ميز حكم الفاطميين [55]،والمؤَسَس على قاعدة الملك الإلهي [56]والميراث الرباني[57]والنبوي[58]،اعتبر الأئمة أنفسهم أولياء الله،الذين اصطفاهم واجتباهم سادات للورى،وأئمة للعباد،وأمناء على الخلق،ومستودعاً للعلم،وحفظةً للأسرار،ودعائم للإيمان،وقرن طاعته بطاعتهم[59]،مؤسسين لعصمةٍ تُعطي تبريراً لجميع تصرفاتهم ولو كانت جرائم وانحرافات عن الدين والتقاليد[60]،بدعوى أن كل ما يصدر عنهم "حق

([53]) محمود إسماعيل:"صور المقاومة في المخيال الشعبي"،أدب ونقد،مصر، ع 252، 2006 ،ص94.

([54]) ياقوت الحموي:معجم البلدان،دار صادر،بيروت،ط1995،2م،ج1،ص369.

([55]) Ivanow (W):Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, London,1942,p.111.

([56]) الجوذري:م.س،ص79،ابن حيون:الرسالة المذهبة،ص28، إدريس:تاريخ،ص411، 431.

([57])ابن حيون:المسايرات،ص271، الجوذري:م.س،ص54،إدريس:تاريخ،ص475.

([58]) ابن حيون:افتتاح،ص295.

([59]) المعز الفاطمي:تأويل الشريعة،مخطوط بمعهد المخطوطات العربية،تحت رقم 357 متفرقات،25288 ميكروفيلم،ورقة 89-90،ابن حيون:الرسالة المذهبة،ص 84،المسايرات،ص420،آداب إتباع الأئمة،تحقيق مصطفى غالب،دار ومكتبة الهلال،بيروت،1985م،ص90،المناقب والمثالب،ص398،397، 399،الجوذري:م.س،ص79، إدريس:تاريخ،ص420، هر المعاني،ص219.

([60])Ivanow:op.cit,p.113.

وصواب وصدق"[61]،لأنهم "ينظرون بنور الله في جميع أمورهم"[62]،"وبأحكامه يقضون ويحكمون"[63].

استناداً إلى تلك المعطيات راح القاضي النعمان يقدم أفضل السبل للحفاظ على السلطة،فجعل من حكم الفاطميين نقطة إرساء للعدل وحفاظ على الأمن،في مجتمع عُرف بانشقاقاته وخلافاته المذهبية[64]،وأوجب على الرعية تعظيم الأئمة وإجلالهم[65]،والتعبد"بطاعتهم..والعمل بما ..يرضيهم قولاً وعملاً ونية"[66]،والتسليم لأمرهم،وترك الاعتراض عليهم،وانتقادهم،وتعقب أفعالهم[67]،وضرورة الصبر عليهم "في حال الضيق والشدة والبأساء والضراء والمحنة"[68]،واصفاً من خالف ذلك بأنه"الشقي الخاسر"[69]،معتبراً قتاله نصرة للدين وتحصيناً للأمة[70]،ومبرراً استئصال المعاندين

---

[61] ابن حيون:إتباع الأئمة،ص91، 93،100.

[62] الجوذري:م.س،ص34.

[63] ابن حيون:إتباع الأئمة،ص193.

[64] ابن حيون:افتتاح،ص253.،ص100،دعائم الإسلام،ج1،ص354.

[65] ابن حيون:المسايرات،ص57.

[66] م.س،ص45.

[67] ابن حيون:إتباع الأئمة،ص193.

[68] ابن حيون:المسايرات،ص56.

[69] ابن حيون:افتتاح،ص185-196،إتباع الأئمة،ص21-23.

والمنتزين بأنهم "مجاهرين بالمعصية والحرب لولي الله....استحقوا القتل بنكثهم ومباينتهم"(71)،وأضفى على العقوبة التي تنزل بهم وبغيرهم من المخالفين الخارجين ومثيري الفتن–مهما كانت قساوتها– صبغة شرعية،معتبراً إياها انتقاماً ربانياً وعقاباً إلهياً وتخليصاً للنفس من شرورها(72)،وذهب إلى الحسم في مآل هؤلاء بأنهم من أهل النار في الآخرة(73)،ومن ثم فلا غرابة أن يتمتع النعمان(74)بمكانة مرموقة لدى الخلفاء الفاطميين(75)باعتباره قاعدة فقهية صلبة اعتمدوا عليها في شرعنة أفعالهم.

وفي سياق "المقدس" أيضاً تتدرج قاعدة أخرى أطرت من منظور ديني تعامل السلطة الفاطمية مع الخصوم والمناوئين وتتمثل في مبدأ "التكفير"،إذ كان النزاع السياسي والخلاف المذهبي كفيلين بأن يدرج كل فريق خصمه وعدوه في عداد

---

(70) إدريس:تاريخ ،ص421.

(71) ابن حيون:افتتاح الدعوة،ص ص321 ،419.

(72)ابن حيون:المسايرات،ص102،72،افتتاح الدعوة،ص ص 100 ،179، 253 ،318، 319، 323، 419.

(73ا ابن حيون:افتتاح الدعوة،ص334،المسايرات،ص419.في إحدى خطبه حث المنصور أنصاره لقتال الثوار والمناوئين بقوله "انتم حزب الله وهم حزب الشيطان وقتيلكم في الجنة وقتيلهم في النار". الجوذري:م.س،ص54-55.

(74)عنه وعن دوره البارز في خدمة الفاطميين خلال المرحلة المغربية انظر إسماعيل السامعي:الدولة الفاطمية وجهود القاضي ابن حيون في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي،مركز الكتاب الأكاديمي،الجزائر،2010م،إسماعيل بونوالا:"القاضي ابن حيون والفقه الإسماعيلي"،ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط،ترجمة سيف الدين القصير،دار المدى للثقافة والنشر،دمشق،1999،ص ص 125-146.

(75)إدريس:تاريخ،ص38.ومما ورد على لسان المنصور "يا نعمان إذا جزى الله المحسنين خيرا فجزاك الله عنا أفضل الجزاء".ابن حيون:المسايرات،ص51.

الكافرين [76]،وعندها يجوز استباحة الدماء وسبي الحريم واسر الرجال،ونهب الممتلكات[77]،وهو ما حدا بأحد الباحثين[78]على التأكيد بأن التكفير "هو المدخل الشرعي للإبادة"،وبآخر[79]إلى القول بأن "مؤدى التعارض المذهبي كان في الغالب الأعم التكفير المتبادل،ومن جهة أخرى أن الوجه الآخر لممارسة السياسة كان هو الموت".

كان تكفير المخالف سلوكاً ثابتاً معتمداً على معتقد الفاطميين[80]الذين اعتبروا أنفسهم"حزب الله"[81]و"أنصار الحق"[82]،متهمين من خالفهم بأنهم:"أعداء الله"[83]و"أحزاب

---

(76) حول صيرورة هذه الظاهرة في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط انظر: إخوان الصفا:الرسائل، القاهرة،1928،ج3،ص537،ابن عساكر:تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعري،دار الكتاب العربي،بيروت،ط3،1404،ص ص405-407.ويبدو أن استشراء الظاهرة قد استفز أصواتاً فقهية تعالت للتنبيه على خطورتها ونتائجها الكارثية.انظر على سبيل المثال الغزالي:كتاب الاقتصاد في الاعتقاد،دار الكتب العلمية ،بيروت،1978،ص157.

(77)شهدت بلاد المغرب تأصيلاً تاريخياً لظاهرة تكفير المخالفين ومنذ عصور مبكرة.انظر:

Marc Bloch: Slavery and Serfdom in the Middle ages,London,1975,p.27.

(78) ياسر الهلالي:م.س،ص99.

(79)سالم حميش:"في التاريخ المونوغرافي،نموذج الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"،ضمن أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية،منشورات كلية الآداب،مكناس،1988،ص209.

(80) تابع نظرة الفاطميين للرعية نظرة العبيد عند المالكي: م.س، ج2، ص ص 59، 60، الذهبي: أعلام النبلاء، ج11، ص 249 .

(81) الجوذري:م.س،ص54-55.

(82) ابن حيون:افتتاح،ص ص 253.، 296،إتباع الأئمة،ص64.

(83) ابن حيون:افتتاح،ص188.

الكفر" [84] و"الضلال..وفراش النار" [85] "الفاسقين الكفرة..الفجرة" [86] "الأرجاس الأنجاس" [87] ""المارقين" [88] "العصاة الضالين" [89]، "الناكثين" [90]، لأنهم "كانوا لأولياء الله معادين غير مقرين ولا معترفين" [91]، فتمادوا بذلك في "الشيطنة والابليسية" [92]، وتدرعوا "جلباب الكفر، وإظهار الشقاق والنفاق والمروق عن الدين والملة" [93]، فصار قتالهم جهاداً [94] وقتلهم عدلاً وإنصافاً [95]. وهكذا بات من عادة الفاطميين بعد انتصارهم "قتل الرجال وسبي النساء والذراري" [96]. وللحط من شأن المخالفين وتبريراً لقتلهم دائماً ما تم

([84]) ابن حوقل: صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص74.
([85]) الجوذري: م.س، ص54-55.

([86]) إدريس: تاريخ، ص303 ، 382، الجوذري: م.س، ص44-45.

([87]) الجوذري: م.س، ص57.

([88]) ابن حيون: الرسالة المذهبة، ص37، إدريس: تاريخ، ص264، 391، 400، ابن حوقل: م.س، ص74.

([89]) ابن الخطيب: م.س، ص51.

([90]) ابن حيون: الرسالة المذهبة، ص37.

([91]) إدريس: زهر المعاني، ص326، 330.

([92]) إدريس: م.س، ص325، 220.

([93]) ابن حيون: افتتاح، ص195، إدريس: تاريخ، ص191، 274.

(94) ابن حيون: المسايرات، ص ص190 ،222، ،230، 234، افتتاح الدعوة، ص 222 .
(95) ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1، ص194، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت)، ص95.

(96) ابن حيون: كتاب الاقتصار، تحقيق محمد وحيد ميزرا، دمشق، 1957م، ص77 ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1407هـ، ج3، ص425.

الترويج أنهم"أباحوا الزنا والمحارم وجاءوا بتخليط عظيم" [97]،و"استحلوا المحارم"[98]"والفسوق وارتكاب المعاصي والمجارم واستعمال المآثم وتضييع حقوق الله وتعطيل حدود الله" [99]،"واعتادوا شرب الخمور والفجور..والشهادة بالإفك والزور"[100]،وأنهم لا يتبعهم إلا كل "داعر ومفسد وقاطع طريق وسارق ومارق"[101].

ترتبط ظاهرة عنف السلطة بحالة عدم الاستقرار السياسي،والتي تتميز بالمرونة والنسبية،وعجز السلطة عن التكيف والتأقلم،مما يتسبب في مزيد من الضغوط عليها،فتلجأ إلى القوة والإكراه وتوسيع دائرة العنف لمقاومة هذه الضغوط والتحكم فيها[102]،وهو ما ينطبق على حكم الفاطميين لبلاد المغرب[103]،والذي رافقه–نتيجة الصبغة القبلية والمذهبية [104]–الثورات والتمردات العارمة في طول البلاد

([97])ابن حيون: افتتاح ،ص325. ،

([98])ابن حيون:م.س،،ص329.

([99]) الجوذري:م.س،ص35،إدريس:زهر المعاني،ص227.

([100])إدريس:تاريخ،ص33.

([101])إدريس:م.س،ص277.

([102]) قبي آدم:"رؤية نظرية حول العنف السياسي"،مجلة الباحث،الجزائر،ع1، 2002م،ص108 ،109.

([103]) حول الفوضى السياسية والأمنية خلال تلك الفترة انظر الازموري:بهجة الناظرين وانس العارفين،مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 437،تاريخ،ورقة 39، الجوذري:م.س،ص49،المقدسي:م.س،ص 316،ابن الآبار:م.س،جـ1، ص186.

([104]) من المتعارف عليه أن السلطة تلجأ إلى القمع السياسي حين تفتقد قاعدة شعبية تكفيها لتثبيت حكمها،فتعمد إلى وسائل مبتكرة في العنف والتعذيب كوسيلة معوضة عن عزلة الحاكم ،وتوفير الرادع الذي يمنع المقت الشعبي من التحرك نحو تهديد سلطة الحاكم. الهادي العلوي:م.س،ص286.

وعرضها[105]،والتي كادت في بعض الأحيان أن تعصف بهم،وهو ما دفع بالداعي إدريس[106]إلى القول بأن دولتهم كانت "مشوبة بالتكدير"،وبالعمري[107]إلى القول بأن المنصور الفاطمي كان جهده بعد أن "أشغلته الفتن التي قامت بافريقية واستأصلت ...أن يرقع خروقه..وأن يزود عن حوضه"،ولعل في وصية القائم عند وفاته لخليفته من بعده عند تسليمه مقاليد الحكم بعبارة "مهد الله لك البلاد وجمع على طاعتك ومحبتك قلوب العباد"[108]،ما يؤكد على أن استقرار الأوضاع كان هدفاً بعيد المنال بالنسبة للفاطميين نتيجة كثرة المشاكل والمعيقات المتلاحقة[109]،فقد اشتكى المعز في أحدى رسائله "الانفراد في الديار الموحشة ..والبلد المشاقق بين كل عدو وفاسق"[110]،كما أكد في إحدى مجالسه ما لاقاه أسلافه في حكم المغرب من"فساد أحوال الناس..وصعوبة سياستهم" [111]،بشكل أثر سلباً على استقرار الدولة،وأدى باستمرار إلى انتكاس

---

(105)الجوذري:م.س،ص63. ولعله ما دفع ابن حوقل إلى وصف ساكنة افريقية بأنهم "خلاف على مر الأوقات...مخالفين أكثر أيامهم لسلطانهم".م.س،ص71-72.ويرى أحد الباحثين أنه "لم يكن إلا في عهد الخليفة الرابع المعز أن حققت الدولة استقرارا كافياً وأمناً داخلياً مكنها من الانطلاق في سياسة الفتوحات".إسماعيل بونوالا:م.س،ص127

(106) إدريس:زهر المعاني،ص226.

(107) العمري:مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،المجمع الثقافي،أبو ظبي،1423 هـ،ج24،ص101.

(108) الجوذري:م.س،ص44.

(109) لاحظ كيف تسبب ذلك في إخفاء أخبار وفيات الخلفاء من قبل أبنائهم وحرمانهم من مراسيم جنائزية لائقة.ابن حماد:م.س،ص77.

(110) الجوذري:م.س،ص73.

(111) ابن حيون:المسايرات،ص507. وشبه المعز الرعية بـ"الحنظل لو سقي العسل ما أثمر إلا مرا".نفسه،ص289.

الأوضاع،واستنفد جهوداً جبارة من الفاطميين،ودفعهم إلى صب جام غضبهم على الرعية واصفين إياهم بـ"ذوي الفسوق والمروق "[112] "الدهماء "[113] "الغوغاء "[114] "السفهاء "[115] "الأشرار الخبثاء "[116] "أوباش الناس" [117] و"طغامهم" [118] الأشبه بـ"القردة والخنازير" [119] و"البهائم منهم بالناس" [120] ؛"لسوء تمييزهم ولجهلهم" [121] ،لا همَّ لهم إلا "الغارة والفتنة...والفساد والشغب..والنهب والفتنة"[122]،وإجابة "كل داع ناعق"[123].وعليه فقد كان طبيعياً أن تلجأ

---

(112) إدريس:تاريخ،ص476.

(113)ابن حيون:افتتاح،ص297.

(114)إدريس:تاريخ،ص266،

(115)ابن حيون:افتتاح،ص273.

(116) إدريس:تاريخ،ص302

(117) ابن حيون:إتباع الأئمة،ص33.

(118)إدريس:تاريخ، ص 271

(119) الجوذري:م.س،ص64.

(120) ابن حيون:إتباع الأئمة،ص33،ووصفهم القائم بـ"الأنعام المجفلة والصور الممثلة والخشب المسندة والحمر المستنفرة".إدريس:تاريخ،ص310.

(121) ابن حيون:المسايرات،ص137.

(122)إدريس:تاريخ،ص266، 471.

(123) النويري:م.س، ج28،ص50.

السلطة إلى إجراءات واحتياطات في مواجهة كل هؤلاء كان من أبرزها القوة والعنف والتفنن في "أصناف من القتل"[124].

<u>مظاهر العنف في سياسة الفاطميين:</u>

شكل العنف ظاهرة مشهودة في اجتياح أبي عبدالله الشيعي واكتساحه ربوع بلاد المغرب بغية القضاء على القوى السياسية القائمة والتأسيس لقيام الدولة الفاطمية،فأثناء تجوله في بلاد البربر"قتل الرجال وأخذ الأموال،وسبى الذرية،واحرق بعض المدن بالنار"[125]،وانبسطت خيله بمدينتي قسطيلية وتوزر و"أحرقت القرى وأفسدت ما مرت به من النعم"[126]،وما أن اقتحم مدينة سطيف حتى "قتل من وجوههم قتلاً ذريعاً وانتهب أموالهم وسبى نساءهم وذراريهم"[127]،وبعد دخوله كبونة ظل جيشه يقتل من أهلها طيلة يومين متتالين[128]،وتعرض سكان مدينة الاربس على يديه للإبادة الجماعية بعد أن دخلها "قهراً بالسيف"[129]وأطلق يد جنده فيها فـ"نهبوا البلد"[130]،وقتلوا

---

[124]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص165.

[125]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص162.

[126]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص145.

[127]) النويري: ج28،ص56.

[128]) ابن حيون:افتتاح،ص171.

[129]) إدريس: تاريخ،ص133.

من أهلها ثلاثين ألفاً،حيث ظل القتل فيهم قائماً من وقت صلاة العصر إلى آخر الليل[131]،ولم يسلم من القتل حتى الذين احتموا بالجامع الكبير حيث قُتل منهم"فيه أكثر من ثلاثة آلاف"[132]،حتى "كانت الدماء تسيح من أبواب الجامع"[133]،واتبع الشيعي مع أهل بلزمة سياسة التجويع،حيث حاصرهم مدة طويلة "حتى انقطع الطعام من أيديهم...وأكلوا ما عندهم من الحيوان ثم أكلوا جلودها...إلى أن غلب عليهم الجوع فاستأسروا" [134]،أما سجلماسة فقد نهب جنده دورها وجردوا الناس حتى من ملابسهم[135]،ولم تكن معاناة أهل تاهرت أقل حدة حيث أنه "انتهبها وانتهك حرمتها وأجلى كثيراً من أهلها وجعل أعزة أهلها أذلة..واهلك الحرث والنسل"[136]،ودخل أنصاره قلعة مجانة "فانتهبوا تلك المنازل"[137].مما يدحض زعم أحد الباحثين[138]بأن سياسة

([130]) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي، بيروت ،1997م، ج6،ص595.

(131)ابن حيون:افتتاح،ص232،إدريس:تاريخ،ص133،الحميري:الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس،مؤسسة ناصر للثقافة،بيروت،1980م، ص24.

([132]) ابن الأثير:م.س، ج6،ص595، الحميري:م.س،ص24.

([133]) ياقوت الحموي:م.س، ج1،ص136.

([134]) ابن حيون:افتتاح،ص178-179.وعن ارتكاز حياة سكان المدينة على إنتاجهم الزراعي انظر ابن حوقل:م.س،ص91.

([135])اليماني:سيرة جعفر الحاجب، نشر ايفانوف،مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة،م 4،ج2،1936م،ص126.

(136) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي،قسنطينة،1974،ص94.

([137]) ابن حيون:افتتاح،ص208...

([138]) هيصام موسى:التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس الهجريين،مؤسسة كنوز الحكمة،الجزائر،2013م، ج1، ص209.

الأمان كانت ملازمة للقائد الشيعي أجراها على المناطق التي استولى عليها عبر مسار حركته من إيكجان وصولاً إلى القيروان،استناداً إلى نصوص شيعية قحة.

لم تجد سياسة الأمان انعكاساً لها في علاقة أبي عبدالله الشيعي بالرعية إلا في المرحلة الأولى من قيام الدولة الفاطمية بعد الاستيلاء على القيروان ورقادة،وهنا تصدق مقولة ابن خلدون[139]بأن الدولة تستند في طور التأسيس على قاعدة "جمع القلوب وتأليفها"،فنتيجة لحالة الفوضى التي أحدثها سقوط الأغالبة[140]،وقبل ترسيخ مؤسسات الدولة الجديدة،وإكمال مشروعاته في المغربين الأوسط والأقصى،وبوصفه منظماً ماهراً وسياسياً متمرساً[141]،آثر أبو عبدالله الشيعي إتّباع سياسة معتدلة تتسم بالرفق والتسامح تجاه سكان افريقية،لا سيما المالكية منهم،الذين ترسخ مذهبهم بإحكام[142]،وامتلكوا تأثيراً قوياً على العامة[143]،،فقد بالغ في إكرام فقهاء القيروان ووجوها وتجارها حين خرجوا

([139]) م.س، ج1،ص266.

([140]) ابن حيون:افتتاح،ص236.

([141])ابن حيون:افتتاح،ص269،المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف،مصر،1996م،ط2،1996، ج1،ص68.

([142]) بونوالا:م.س،ص127.

([143]) البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ،تحقيق محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي،2002م ،ج6،ص374 ،

vonderheyden La Berbèrie orientale sous la dynastie des Benou-l- Aghlab (800-909) , Paris 1927,p.31.

لاستقباله [144] ،و"أمنهم في أنفسهم وأموالهم" [145] ،"ووعدهم بالإحسان والعدل فيهم"[146]،والتزم التقشف[147]،وأمر بقطع المنكرات[148]،وحظر على جنده نهب رقادة والقيروان[149]،وأمرهم بالكف عن الغارات[150]،وغلَّ يدَ أخيه أبي العباس عن طرد المخالفين للمذهب الشيعي من القيروان[151]،مروجاً أن دولته"دولة حجّة وبيان،وليست دولة قهر واستطالة"[152]،ولم يجبر أحداً على التشيع في كل مدن إفريقية[153]،مستخدماً الإقناع السلمي والاعتدال في نشر الدعوة[154]،ولم يشتط في سياسته الاقتصادية والتزم فيها بأحكام الشريعة[155]،مما تسبب في ميل القلوب نحوه،وسكون الأنفس إليه[156]

([144]) النويري:م.س، ج28،ص60

([145]) ابن حيون:افتتاح،ص244.

([146]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص150ة .

([147]) ابن حيون:افتتاح،ص251،إدريس:تاريخ،ص139.

([148]) ابن حيون:افتتاح،ص247.

([149]) المقريزي:م.س، ج1،ص63،64.

([150]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص145.

([151])ابن عذاري:م.س، ج1،ص151.

([152]) النويري:م.س، ج 28،ص61.

([153]) المالكي:م.س، ج2،ص85-86.

([154]) Julien, Ch-A., *Histoire de l'Afrique du Nord : des origines à 1830*,Payot, Paris,1952,P.54.

([155])محمود إسماعيل:"المالكية والشيعة بافريقية إبان قيام الدولة الفاطمية" المجلة التاريخية المصرية،مصر،مج 23، 1976،ص78.

،لـ"عدله ورفقه وحسن سياسته"[157].بيد أن حرصه أيضاً على تثبيت أركان دولته دفعه إلى إجراء أكثر عنفاً ممثلاً في استئصال القوة العسكرية التي كان يستند إليها الأغالبة فأمر "بقتل السودان من موالى بني الأغلب فقتلوا عن آخرهم وكبوا على مناخرهم"[158].

تم خرق تلك السياسة الاعتدالية من قبل أبي العباس الذي لم يكن على شاكلة أخيه في السياسة والدهاء،ولأنه كان "عجولاً...ضعيف العقل" [159]،فقد تسرع هو وقاضيه المروذي(ت303هـ/915م) في تدشين سياسة العنف ضد الرعية،ممثلةً في الإسراف في فرض المغارم[160]،وإرغام الناس على التشيع[161]،والإمعان في تصفية معارضيه بالقتل والصلب والتشهير والضرب بالسياط،وفور ورود تلك الأخبار إلى أبي عبدالله وهو بسجلماسة أنَّبَهُ بشدة،واتهمه بإفساد العلاقات الطيبة مع أهل افريقية،وهو ما تحتاجه الدولة في بدايتها بقوة[162]

([156])ابن حيون:افتتاح،ص185، 244.

([157])ابن حيون:م.س،ص257.

([158]) ابن حماد: م.س،ص ص 20، 21، ابن عذاري: م.س، جـ1، ص 150.

(159) ابن عذاري: م.س، ج1،ص150.

([160])اليماني:م.س،ص123.

([161])المالكي:م.س، ج2،ص265، ابن عذاري:م.س، ج1،ص151-152.

([162])ابن عذاري:م.س، ج1،ص155.

استنتج ثلةٌ من المؤرخين القدامى[163]أن إفراط الفاطميين في العنف والجنوح إلى الغلبة والقهر تجلت بعد أن أصبح قيام دولتهم في بلاد المغرب أمراً واقعياً،وهو ما تؤكده النصوص الدالة على ممارسة الفاطميين بعد تمكنهم العنف والإكراه والاستبداد وبأساليب متنوعة،حتى بات صفة لازمة للخلفاء ومن دار في فلكهم من المتنفذين،فقد جردت بعض المصادر المهدي من العدل[164]،لأنه "أهلك البلاد والعباد"[165]،واعتبرته"سافكاً للدماء[166]،ولقبته"بالسفاح"[167]،الذي كان سيفه"يقطر دماً"[168]،حتى"انقاد له الملك عنوة...وأطاعه الناس رهباً..وبايعه الخلق والسيف على عنق من أبى"[169]،وقتل"من العلماء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة وكان قصده إعدامهم من الوجود"[170]،ودارت في عهده على الناس "دوائر من قتل وضرب..وأصناف

---

(163) ابن عبد الجبار:م.س،ج1،ص130،القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،تحقيق محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية،بيروت،1998 م،ج2،ص29،ابن عذاري:م.س،ج1،ص283،الذهبي: أعلام النبلاء،ج15،ص151.

(164) البكري:م.س،ص95.

(165) الذهبي:أعلام النبلاء،ج15،ص143.

(166) المالكي:م.س،ج2،ص343.

(167) العمري:م.س،ج24،ص96.

(168) المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج1،ص72.

(169) العمري:م.س،ج24،ص98-99، أبو شامة:كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،2002،ج2،ص142.

(170) أبو شامة:م.س،ج2،ص139،الذهبي:تاريخ ،ج12،ص369.

العذاب"[171]،كما أنه خلَّدَ آخرين"في المحابس مصفدين إلى أن فنوا عن آخرهم"[172].أما ساعده الأيمن أبو عبدالله الشيعي فقد وُصف على لسان خصومه بـ"مستحل دماء المسلمين بغير حقها المبيح للفروج...الآكل أموالهم مستلباً لها"[173]،حتى كان التنكيل به على يد المهدي عقاباً إلهياً على ما اقترفته يداه من القتل وسفك الدماء حسب ابن عذاري[174]،وهو ما ينسحب على القائم الذي وصف بأنه "سافك للدماء ...أباد عدة من العلماء"[175]،واشتهر المنصور بلقب "السلاخ" لأنه كان يبالغ في الانتقام ممن يثور ضده بسلخ جلودهم وهم أحياء ويحشو أجسادهم قطناً ثم يصلبون[176]،ووصفت المصادر المعز بأنه "عظيم الجبروتية"[177]،قد "ذلل العصاة"[178]،حتى أنه أوصى خليفته على المغرب يوسف بن بلكين بألا يرفع السيف عن البربر[179].

([171]) الخشني: طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني،بيروت،د.ت ،ص ص 232، 233.

([172]) ابن حيون:افتتاح الدعوة،ص329.

([173]) ابن حيون:م.س،ص ص 186 ،195.

([174]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص ،283.

([175]) الذهبي:أعلام النبلاء،ج15،ص153، 155،العمري:م.س،ج24،ص99.

([176]) ابن حماد:م.س،ص65-66.

([177]) ابن الخطيب:م.س،ص55،61.

([178]) الذهبي:تاريخ الإسلام،ج8،ص247

([179]) المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج1،ص103.

امتدت صورة العنف وسياسة الاستبداد التي رسمتها المصادر لتشمل الولاة والمتنفذين[180]،فمنهم من كان "سريع الغضب والضرب بالسوط"[181]،ومن كان "جباراً متعسفاً"[182]،ومن"تصلب وتكبر وتجبر"[183]،وكان يعاقب على أقل الهفوات بـ"سفك الدماء"[184]،امتدت يده إلى"أموال الأحباس والحصون"[185]،ومن"لم يكن يحب أن يرى على ظهر الأرض أحداً إلا واقعاً تحت أمره ونهيه ومن تحت يده"[186]،ومن كان يجبر الهاربين على تسليم أنفسهم بإلقاء القبض على أهليهم وذويهم[187]،ومن "بسط يده على الناس و..واستعمل التجني على أهل الستر"[188]،وهو ما كان مدعوماً من السلطة ذاتها،حتى أنها عمدت إلى عزل الولاة والقضاة الذين عُرفوا باللين والمهادنة والاستقامة والورع والتمسك بنواميس العدل،لتستبدلهم بآخرين اشتهروا بالقسوة والعنف والرشوة والاعتداء على الأموال[189].أما الجنود فكان لهم "عنف وسلطنة"[190]،تمثل في ضرب

([180]) ابن أبي زيد القيرواني:الفتاوى،جمع وتحقيق وترتيب حميد لحمر،دار اللطائف للنشر والتوزيع،القاهرة،2012م،ج1،،ص353-354.

([181]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص191.

([182]) اللبيدي:م.س،ص71.

([183]) الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: إبراهيم شبوح وآخرين،مكتبة الخانجي،مصر،1968،ج2،ص291.

([184]) المالكي:م.س،ج2،ص155.

([185]) المالكي:م.س،ج2،ص56.

([186]) ابن حيون: افتتاح،ص 403.

([187]) المالكي:م.س،ج2، ،226

([188]) الجوذري:م.س،ص114.

([189]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص188،189.

الناس بالسياط أثناء مرورهم بالطرقات[191]،وتقريعهم بالسب والشتم[192]،والاحتيال في نهب أموالهم[193].وبالجملة عانت الرعية في عصر الفاطميين من سوء العذاب[194]،والبلاء العظيم[195]،"قتلاً ونفياً وتشريداً"[196]،"وسبياً وإحراقاً"[197]،وعاش أهل السنة في حالة شديدة من "الاهتضام والتستر .. كأنهم ذمة... تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة"[198]،وهو ما دفع الدباغ[199]إلى تسمية ذلك العصر بعصر الشهداء،وحدا بالعالم المالكي محمد بن سعدون(ت486هـ/1093م) لتخصيص مؤَلَفَيْن كاملين عن مظاهر تلك المحن وأشكالها[200]،كما ألف أبو العرب تميم "كتاب المحن"

([190]) المالكي:م.س،ج2،ص381.

([191]) البييدي:م.س،ص35، المالكي:م.س،ج2،ص219، الدباغ:م.س،ج2،ص274.

([192]) المالكي:م.س،ج2،ص381.

([193]) الجوذري:م.س،ص43، 62.

([194]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص284،اللبيدي:م.س،ص64.

([195]) الذهبي:تاريخ الإسلام،ج7،ص333.

([196])السيوطي:حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،1967م،ج1،ص480،الدباغ:م.س،ج2،ص292.

([197]) مؤلف مجهول: ذكر بلاد افريقية وحدودها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 80 جغرافيا غير مفهرس ، ورقة 11.

(198) عياض:م.س،ج2،ص29.

([199]) الدباغ:م.س،ج2،ص269.ثم تابع محمود إسماعيل:"محنة المالكية في افريقية المغربية"،ضمن كتابه:مغربيات،مطبعة فضالة،فاس،1977،ص ص57-83.

([200]) عنون الأول ب" ذم بني عبيد الله وأفعالهم القبيحة" ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط مصر 1351هـ،جـ2،ص 239 ،وخصص الثاني ل " " تعزية أهل القيروان بما جري علي البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان".ابن عذاري:م.س،جـ1،281،الدباغ:م.س،ج3،ص198، ،البرزلي:م.س،ج6،ص ص 272، 417، 447.

ليتلمس من خلاله أبناء عصره المقهورين الأسوة والعزاء(201)،وأفرد أبن أبي زيد القيرواني في كتابه "الجامع" باباً للحديث عن "الفتن وفساد الزمان..وذكر بعض من امتحن في ذلك وتحليل الظالم"(202)،كما تعالت أصوات أهل الحكمة تشكو "سوء حال الرعية وما نزل بهم من ظلم"(203).ورغم أن غالبية تلك النصوص قد غلفتها قناعات مذهبية متحاملة على الفاطميين(204)،إلا أن زخماً من القرائن تسمح بتأكيدها.

إن إخضاع عينات من النصوص المصدرية للفحص تثبت وضعاً مأساوياً آلت إليه أوضاع كل من أعلن العصيان والتمرد والخروج عن الطاعة[205]،تنوعت من خلاله أشكال الاستئصال،والإبادة الجماعية،والسبي،والحرق،والتدمير،وإتلاف المحاصيل الزراعية،وتخريب المدن،ونهب الممتلكات،وبعيداً عن تفاصيل هذه الأفعال وظروفها وتواريخها،وأسماء الأشخاص الذين تمت على أيديهم،نسجل عبارات أوردتها المصادر

---

(201) أبو العرب تميم:كتاب المحن ،تحقيق يحيى الجبوري،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط3، 2006، ص62.علماً بأن كلمة "المحن" لا تتعلق بمجرد "سوء معاملة" لكنه النكال الأشد قسوة،والخوف الدائم المرافق لأنواع الفظائع وألوان التعذيب.محمد رجالة:"ابن خلدون ومسألة التعذيب والقتل"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ،المغرب، ع 8،2008م،ص109.

(202) انظر:كتابه الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ،تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ،مؤسسة الرسالة،بيروت،1983،،ص ص 153-159.

(203) الخشني:م.س،ص232، ابن عذاري:م.س،ج1،ص166.

(204) نستأنس هنا بمقولة جاستون بوتول"أن أقوى الأحكام حجة فيما صدر منها على سير أعمال الدولة تلك التي صيغت متناولة عمل العنف فيها".سوسيولوجيا السياسة،ترجمة نسيم نصر،منشور عويدات،بيروت،1980م،ص185.

(205) بل كان مجرد التفكير في ذلك والهم به يواجه بعنف شديد.انظر ابن عذاري:م.س،ج1،ص169.

للتأكيد على هذا العنف المشوب بالقسوة البالغة،من قبيل:"كلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيهم"[206]"قتل منهم قتلاً كثيرا"[207]،و"قتلهم أجمعين"[208]،و"قتل منهم خلقاً كثيرا"[209]،و"قبض عليهم فقتلوا على باب رقادة،ثم تتبع من بقي منهم فقتلهم"[210]،و"قتل الذين عقدوا الخلاف بها من أكابرها واستصفى أموالهم"[211]،و"قتلوا الرجال،وسبوا النساء،والذرية..وحرقوا المدينة بالنار،وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل"[212]،"ونهب وأحرق"[213]،و"قتل أهلها وسبي نساءها"[214]،"ونهب المدينة وسبا أهلها وهدم أسوارها وكان الحادث بها عظيماً"[215]،و"أمر بحريقها ونهبها"[216]، و"أحرق... أخصاصاً كثيرة..وسبى نساءهم وذراريهم وأخذ من الخيل والجمال وصنوف

([206]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص170.

([207])إدريس:تاريخ،ص180.

([208])إدريس:م.س،ص180

([209]) النويري: ج28،ص68،ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس،الرباط،دار المنصور للطباعة،1972،ص100.

([210]) النويري:م.س، ج28،ص68.

([211]) ابن حيون:افتتاح،ص326.

([212]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص166.

([213]) المقريزي:اتعاظ الحنفا، ج1،ص94.

([214]) البكري: م.س، ص155، ثم تابع إشارة عند ابن زرع: م.س، ص99 .

(215) ابن ابي زرع: م.س، ص90، الشطيبي: الجمان في أخبار الزمان ، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 1416 تاريخ ، 14197 ميكروفيلم ، ورقة 209 .

(216) إدريس:تاريخ،ص471-472.

الحيوان ما يفوت الإحصاء ويستغرق الإقصاء" [217]،و"استباح النساء والعجائز والأطفال" [218]،و"قتل بها ثلاثة آلاف رجل" [219]،و"نزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله،ويهدم حصونه وقلاعه،ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة،ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث...ويضع المكوس والضرائب ويتوصل إلى إزالة النعم"[220]،و"غلب الأولياء على الحصن وفتحوه عنوة وقتلوا أهله وانتهبوا ما فيه ..وأمر أمير المؤمنين بقطع نخيلهم وأشجارهم" [221].ولعل في صدور بعض هذه النصوص من مصادر إسماعيلية ما يعطيها نوعاً من المصداقية،ويبرز الوجه الحقيقي للسلطة ،ويؤكد أن مثل هذه الأعمال الوحشية لصيقة بتعاملها مع معارضيها،وإشعارهم دوماً بالجدية وعدم التساهل.

اعتبرت السلطة الفاطمية توجيه النقد لها،أو الترويج لإخفاقها السياسي من الجرائم الموجهة بشكل مباشر إلى كيانها،لما قد يسببه من إثارة للعامة[222]،بـ"شتر هذه

---

(217) ابن حماد:م.س،ص72.

(218) مؤلف مجهول: ذكر بلاد افريقية ،ورقة 23 .

(219) ابن ابي زرع:م.س،ص99.

(220) ابن عبد الجبار:م.س،ج2،ص599.

(221) إدريس:تاريخ،ص474.

(222)عياض:م.س،ج2،ص74 .

الدولة الزاهرة وإدخال العيب فيها"[223]،وهو ما استوجب مواجهته بالردع والعقاب الشديد،فقد كان الدافع وراء تنكيل أبي العباس الشيعي بالفقيهين ابن البرذون وابن هذيل عام 297هـ/910م بالجلد والقتل والصلب والتشهير "أنهما يطعنان في الدولة"[224]،وتعرض عدد من المالكية للضرب والسجن على يد المروذي بسبب "القدح في الدولة"[225]،وأمر المهدي عامله ابن أبي خنزير بقتل المتعبد إبراهيم الدمني عام 305هـ/918مـ لأنه يـ"طعن في الدولة"[226]،ودارت في عام 308هـ/921م المحنة على رجلين زاهدين بالمهدية حيث"ضربا ثم قتلا ثم صلبا لكلام حفظ عليهما في السلطان"[227]،وفي عام 309هـ/922مـ أمر المهدي بقتل العابد محمد بن عبدالله السدري لما شاع عنه من الطعن في بني عبيد وهو ما اعتبرته الدولة"استخفافاً بالسلطنة"[228]وتعرض الفقيه محمد بن العباس الهذلي للضرب عام 310هـ/923مـ "بالدرة في الجامع عرياناً،وصُفع على قفاه حتى جرى الدم من رأسه،وبرّح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشارقة بأنه يطعن على السلطان"[229]،وبالمثل

([223]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص205.
([224]) ابن عذاري:م.س،ج155،1.
([225]) الدباغ:م.س،ج3،ص11.
([226]) المالكي:م.س،ج2،ص139..
([227]) الخشني:م.س،ص230.
([228]) المالكي:م.س،ج2،ص173..
([229]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص188،المالكي:م.س،ج2،ص265.

تعرض أحد خدم المساجد للقتل لأنه "طعن على المهدي"[230]،وعاقبت السلطة الزاهد الحسن بن محمد القلانسي(ت328هـ/940م)بالسجن وغرمته خمسين ديناراً لأنه"شُهد عليه أنه قذف السلطان"[231]،كما تعرض الفقيه أبو العرب تميم(ت333هـ/945م) للمحنة بالحبس والتقييد هو وابنه بسبب "التهمة في السلطان"[232]،وهكذا باتت تهمة الطعن في السلطة والتخابر مع أعدائها وسيلة ناجعة يتم الاحتيال من خلالها للتخلص من الخصوم[233]

بالموازاة،ازداد عنف السلطة الفاطمية تجاه أولئك الذين يجعلون مشروعية حكمها في أزمة[234]،من خلال التعرض للأصول الأساسية والمبادئ الأولية التي تستمد منها سلطاتها،واتهامها باللاشرعية والمطالبة بإلغائها أو استبدالها[235]،وهو ما نجد له صدى في الإجراءات الدموية التي نفذها المهدي ضد المعارضة الداخلية الصامته؛ممثلة في أبي عبدالله الشيعي ومن وافقه ممن تسرب إلى نفوسهم الشك في إمامته وطعنوا في

---

(230) ابن عذاري:م.س،ج1،284.

(231) المالكي:م.س،ج2،ص264..

(232) عياض:م.س،ج2،ص41.

(233) المالكي:م.س،ج2،ص184...

(234) اقترنت المشروعية وقتئذ بتطبيق الشريعة لأن الهدف من إقامة معالم الشريعة هو دوام الملك وتوسيع النفوذ.العروي:م.س،ص143.

(235) محمد حلمي عبد الوهاب:ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت،2009م،ص189.

عصمته وجدارته بالزعامة[236]،فمنهم من"قُتل صبراً وبعث برأسه إلى الإمام"[237]"وقُتل جماعة منهم ..بصنوف من القتل"[238]،ثم تبع ذلك بإجراءات احترازية،حيث تم حرمان كتامة من اعتلاء المناصب الحساسة عسكرية كانت أم مدنية[239]،وتم إسنادها إلى مرتزقة من الصقالبة[240]،استخدموا في عملية تطهيرية وتصفية جماعية لكل من كان يميل إلى هؤلاء المتشككين [241]،ويبدو أنها كانت شمولية بشكل دفع الداعي إدريس [242]إلى التعليق عليها بقوله:"فرق الله الظالمين،وقطع شأفة المنافقين،وأذل المفسدين،ومكن عبده ووليه المهدي"،وحسب ابن حماد[243] "خلص لعبيدالله الأمر وصفا

---

[236] ابن حيون:افتتاح،ص310،مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصار،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد،ط. الدار البيضاء،1985م،ص205، إدريس:تاريخ،ص183. ابن عذاري،م.س،ج1،ص161.يُلاحظ أن هذا الرفض لم يُفرز إنتاجاً فكرياً متنوعاً مثلما حدث في المشرق مع القرامطة.انظر بوبة مجاني:"المدرسة الفكرية الإسماعيلية في المرحلة المغربية"،حولية التاريخ الإسلامي الوسيط،قسم التاريخ بآداب عين شمس،مصر العربية للنشر والتوزيع،م1،ص14.

[237] إدريس:تاريخ،ص186.

[238] ابن حيون:افتتاح،ص315.

[239] محمود إسماعيل:"المالكية"،ص79.

[240] الجوذري:م.س،ص14.ونتيجة تفانيهم في الخدمة أجاز الفاطميون توريث العبيد الصقالبة الداخلين في دعوتهم كما يورث الأحرار.ابن حيون: المسايرات،ص394.

[241] ابن عذاري:م.س،ج1،ص167،ابن حماد:م.س،ص43،ابن الأثير:م.س،ج6،ص600-601.

[242] إدريس:تاريخ،ص189.

[243] م.س،ص43.

له الملك".لقد كان الفتك بهؤلاء المتشككين رغم قربهم للسلطة إشعار لغيرهم من الرعية بعدم التساهل معهم حال المساس بمشروعيتها قبل الطعن فيها.

تمثل الإيديولوجيا ركيزةً كبرى تبرر بها السلطة ممارساتها السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية،وتدافع بها عن كيانها وبقائها واستمرارها[244]،وتسعى من خلالها لبسط مزيد من الهيمنة والسطوة على المجتمع وإخضاعه لنهجها[245]،وتسليط الرقابة المفرطة على الأفراد وتأطيرهم في بوتقة نفوذ الدولة،وتعميق الولاء لها،وإعادة إنتاج الايديولوجيا الرسمية حول شرعيتها[246]،وهو ما يدفعها لمعاقبة المنحرفين بحرمانهم من المشاركة المجتمعية،وربما يصل الأمر إلى السجن أو التصفية الجسدية[247].وهكذا اعتبر ابن خلدون[248] أن الدعوة الدينية كانت بالنسبة للخليفة الفاطمي"شيء من سلطانه تسليماً لعصبيته وانقياداً لما استحكم له ولقومه من صبغة

([244]) محمد سبيلا:الأيدلوجية،المركز الثقافي العربي،بيروت،1992،ص57 .

([245]) برهان غليون:"ملاحظات حول الدولة في المجتمعات النامية- آليات السيطرة والعنف"،مجلة الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،ع 14، 15، 1981، ص41.

([246]) حسن علوض:"عن العنف والاستبداد -مقاربة نقدية للمفاهيم والدلالات في ظل تحولات الحراك العربي"،مجلة الكلمة،قبرص،مج20، ع81،2013،ص148،ثم تابع محمود إسماعيل:"أثر الايدولوجيا في صياغة بعض مصطلحات الفرق الإسلامية"،ضمن كتابه دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي،سينا للنشر،،القاهرة،1994،ص ص93-114.

([247]) القلموني:م.س،ص30.

([248]) المقدمة،ج1،ص264.

الغلب في العالم،وعقيدة إيمانية استقرت في الإذعان لهم،فلو راموها معه أو دونه لزلزلت الأرض زلازلها".

لقد ظل الفكر الإسماعيلي محدوداً في بلاد المغرب نتيجة طبيعته الفلسفية الملغزة[249]،واعتماده طريقة التأويل ذي الجنوح الباطني[250]،الذي لم يتناسب وبساطة تفكير البربر؛فتم اجتذابهم عن طريق الخرافة والسحر والشعوذة[251]،إلا أن ذلك لم يحل دون إمعان الفاطميين في فرض التشيع بالقوة[252]،وتشكيل أطر فكرية ترسخ الولاء لمذهب الدولة،وتنسخ ما عداها من المذاهب [253]،وفقاً لمكنون النظرية الإسماعيلية[254]،فمع دخول المهدي إلى افريقية أجلس الدعاة "وأحضروا الناس بالعنف

([249]) المعز الفاطمي:م.س،ورقة 76، 106، محمود إسماعيل:"المالكية"،ص77.

([250]) المعز الفاطمي:م.س،ورقة7-8، 67، 106،إدريس:تاريخ،ص88-89،ثم تابع تفصيلاً للمسألة عند:الحبيب الفقهي:التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي،مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية،الجامعة التونسية،تونس،د.ت،السيد محمد عبد الرحمن:"التأويل وأبعاده العقائدية والفلسفية عن المعز لدين الله الفاطمي"،مجلة كلية الآداب،جامعة حلوان،ع5،يناير 1999،ص ص 161-205.

([251]) ابن الأثير:م.س،ج6،ص585.

([252])على الأقل في شكليته التعبدية والشعائرية وصيغته الفقهية.المالكي:م.س،ج2،ص265،ابن عذاري:م.س،ج1،ص189،الحميري:م.س،ص307،ابن خلدون:العبر،ج6،ص122،ابن ابي زرع:م.س،ص98.

([253])إدريس:تاريخ،ص227،عارف تامر:القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1982م،ص20-21،محمد طه الحاجري:مرحلة التشيع في بلاد المغرب العربي وأثرها في الحياة الدينية،دار النهضة العربية،بيروت،1983،ص18،Terrasse,H,History of Morocco,Casablanca,1952.p.63.ثم تابع تفصيلاً عند موسى لقبال:"وحدة الخلافة الإسلامية تحت راية الفاطميين،هدف الإستراتيجية الإسماعيلية تجاه العباسيين"،مجلة تاريخ وحضارة المغرب،جمعية التاريخ الجزائرية،عدد12، 1974 م،ص7 وما بعدها.

([254]) ايفان هربك:"بروز الدولة الفاطمية"،مقال ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، م3، اليونسكو،ط2، 1997، ص363.

والشدة"[255]،"ودعوهم إلى مذهبهم وقتل من لم يوافق"[256]،وحسب شهادة الفقيه أبي الحسن القابسي كان عدد من قتلوا من العلماء والعباد الذين رفضوا التشيع "أربعة آلاف رجل"[257]،وتم الترويج لفكرة الحلول[258]،وإجبار الرعية على تغيير بعض الشعائر بما يتناسب والمذهب الإسماعيلي[259]،بل تمادى بعض الدعاة بإطلاق دعوات إباحية وصلت إلى حد الكفر[260]،وتلازمت تلك "الايدولوجيا المغلقة"مع أشكال من القمع والتنكيل لحذف المختلف[261]،ففي عام (308هـ/921م) قبُض على الفقيهين المالكيين عبدالله الغيمي وأبو عبدالله الصدري و"قتلا لذمهما التشيع"[262]،وأمر المهدي عام 309هـ/922م بالموثق حسن بن مفرج والزاهد محمد بن إبراهيم الشذوني"فُضربا

([255]) ابن الأثير :م.س، ج6،ص598، ابن خلدون:تاريخه،تحقيق خليل شحادة،دار الفكر،بيروت،1988، ج6،ص122.

([256]) المقريزي:اتعاظ الحنفا، ج1،ص66

([257]) الذهبي:العبر في خبر من غبر،تحقيق محمد السعيد زغلول،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت، ج2،ص17

([258])ابن عذاري:م.س، ج1،ص160.

([259])ابن حماد:م.س، ص50،مجهول:الاستبصار،ص205،التجاني: الرحلة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،طرابلس، ليبيا، (د.ت)،ص208، 266.

([260])ابن حيون:إتباع الأئمة،ص51،الجوذري:م.س،ص57،المالكي:م.س، ج2،ص504،338،ابن عبد الجبار:م.س، ج1،ص391،ابن عذاري:م.س، ج1،ص283،260،الذهبي:النبلاء، ج15،ص154.ويبدو أنها هيجت العامة بشكل دفع المهدي إلى التضحية ببعض هؤلاء الدعاة وقتلهم علناً لإعادة الأمن واسترضاء الرعية.ابن عبد الجبار:م.س، ج1،ص164.

([261]) انظر بخصوص ذلك :صلاح الجابري:حفريات في الاستبداد،معهد الأبحاث والتنمية الحضارية،بيروت،2010،ص125.

([262]) الذهبي:تاريخ الاسلام، ج7،ص135.

بالسوط،وقُتلا بالرماح بالمهدية"[263]بعد أن "رُفع عليهما إليه بتفضيل بعض الصحابة على علي[264]،وتعرض ابن اللباد(ت333هـ/945م) للمحنة والسجن "لانتصابه للفتوى والسماع بخلاف مذهب أمير المؤمنين"[265]،وصدرت الأوامر بمنع تدريس المذهب المالكي[266] ومصادرة كتب المالكية وإعدامها[267]وهو ما تسبب في تعرض الفقيه ابن العباس الهذلي لمحنة شديدة عام 310هـ/923هـ حيث تم تجريده من ملابسه،والتشهير به في أسواق القيروان،وضربه ضرباً شديداً لأنه كان "يفتي بقول مالك"[268].كما تم بث عناصر من السودان مسلحين بالحراب لمراقبة المؤذنين وقتل كل من لم يُدرج عبارة "حي على خير العمل"[269]ضمن آذانه[270]،وتجريد العيون والجواسيس لرصد تجمعات الفقهاء وتتبع تحركاتهم ومراقبة التفكير المخالف للإسماعيلية[271]،وحين تجرأ أبو إسحاق

---

[263] أبو العرب تميم:م.س،ص235.

[264] ابن عذاري:م.س،ج1،ص187.

[265] عياض:م.س،ج2،ص24.

[266] المالكي:م.س،ج2،ص272،عياض:م.س،ج2،ص43، الدباغ:م.س،ج3،ص6،إدريس:تاريخ،ص158.

[267] المالكي:م.س،ج2،ص ص 259، 423.

[268] ابن عذاري:م.س،ج1،ص188،المالكي:م.س،ج2،ص265.

[269] اعتبر الفاطميون صيغة الآذان وحياً تلقاه الرسول الكريم خلال رحلة المعراج،مستنكرين ما ذهب إليه السنة أنه رؤيا لأحد الأنصار اقرها النبي وان عبارة "حي على خير العمل" كانت تتردد ضمن الآذان خلال عهدي الرسول وأبي بكر،إلى أن أسقطها عمر بن الخطاب.انظر ابن حيون:كتاب الإيضاح،تقديم وإعداد محمد كاظم رحمتي،منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات،بيروت،2007م،ص60-63.

[270] الدباغ: م.س ،جـ3،ص77.

[271] الخشني:م.س،ص36،ص230،المالكي:م.س،ج2،ص38، 103 ،258،عياض:م.س،ج1،ص516،ج2،ص74، 75،الدباغ:م.س،ج3،ص8.

الزبيدي الإفريقي المعروف بالقلانسي(ت357هـ/968م) على تأليف كتاب في "الإمامة والردّ على الرافضة"،تعرض للتنكيل على يد القائم،حيث "ضربه سبع مائة سوط وحبسه أربعة عشر شهرًا بسبب هذا التصنيف"[272].

جعلت السلطة من جسد المعاقَب مجالاً مفتوحاً لتنفيذ الأحكام،وعرضةً سهلة لكل اعتداء،وهدفاً للتحقير والتدمير[273]،فيما يعرف بـ"التوظيف السياسي للجسد"[274].فإمعاناً في بث الرعب وترسيخ الخوف،وتأكيداً لحضور السلطة الدائم،كانت عملية قطع الرؤوس وتعليقها على أبواب المدن وفي الساحات العامة هي التقنية الأكثر سيادة خلال العصر الوسيط[275]،وقد لجأ الفاطميون بدورهم إلى هذه الوسيلة،خصوصاً مع الثوار والمتمردين،فحين دخل أبو عبدالله الشيعي تاهرت قتل من بني رستم "عدداً كثيراً وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس وطيف بها في القيروان ونصبت على باب

---

(272) الذهبي:تاريخ،ج8،ص112.وقد لقي الكتاب المذكور (وكان جزئين) منزلةً ورواجاً بين علماء المالكية يقول أبو العرب تميم :" كتبت بيدي هذه ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة كتاب،فوالله الذي لا اله إلا هو لقراءة هذين الكتابين في هذا الموضوع أفضل عندي من جميع ما كتبت".نقلاً عن المالكي:م.س،ج2 ،ص306 ، 313 ،الدباغ:م.س،ج3 ،ص37 .38.

(273)الهلالي:م.س،ص101.

(274) ميشيل فوكو:المراقبة والمعاقبة ولادة السجن،ترجمة علي مقلد،مركز الإنماء القومي،بيروت،1990م،ص65.

(275) الحسين بولقطيب:"نظام العقوبات والسجن بالمغرب الوسيط،مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط"،مجلة فكر ونقد،ع23،1999م، ،ص46.ويبدو أن مشهد الرؤوس المقطوعة بات معتاداً حتى لدى أطفال المغرب عصر الفاطميين حتى أنهم كانوا يلعبون بها.ابن الأثير:م.س،ج7،ص 148،المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج1،ص84.

رقادة"[276]،ولما اخمد ثورة زناتة بطبنة عام 297هـ/910م أرسل إلى المهدي مع رسالة الفتح "برووس من قتل ..من وجوه زناتة وغيرهم"[277]،ونجح القائد تمام بن معارك الأجاني في القضاء على ثورة هوارة بطرابلس 298هـ/911م "وبعث برووس كثيرة وآذان مفرطة لمن قتل فنصبت برقادة"[278]،وهو المصير ذاته الذي حل ببقايا بني الأغلب الذين ثاروا ضد المهدي بعد قتل أبي عبدالله الشيعي حيث "قبض عليهم فقتلوا صبراً على باب رقادة وجعلت رؤوسهم عليه"[279]،وحين اكتشف المهدي تآمر قائده حباسة بن يوسف ضده عام 302هـ/915م أمر بالقبض عليه وجميع قرابته "وقطعت رؤوسهم وكتبت أسماؤهم في بطائق وعلقت من آذانهم"[280]،وبعد أن نجح مصالة بن حبوس في اقتحام مدينة نكور عام 305هـ/918م "كتب بالفتح إلى عبيدالله وبعث إليه برأس سعيد بن صالح ورؤوس أصحابه،فطوفت بالقيروان"[281]، ولما قتل جنود الفاطميين الفقيه المالكي ربيع القطان عام 333هـ/944م"أخذوا رأسه .. فطيف برأسه"[282]،وبعدما أقتحم

([276])الحميري:م.س،ص126.

([277])إدريس:تاريخ،ص179.

([278]) ابن عذاري: ج1،ص163.

([279])ابن حيون:افتتاح،ص321.

([280]) ابن عذاري: ج1،ص172.

([281]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص175،البكري:م.س،ص96.

([282]) عياض:مدارك، ج2،ص38،الدباغ:م.س، ج2،ص35.

المنصور الفاطمي حصن "ماواس" قرب تهودة عام 363هـ/948م قتل أهله و"أمر بجز الرؤوس فزادت على ثلاثمائة،وبعث بها إلى المنصورية والى المهدية"[283]،وبعد قضائه على ثورة أبي يزيد النكاري أمعن المنصور في التشهير برؤوس المشاركين في الثورة،فقد أمر بعد انتصاره بجمع عدد كبير من أتباع أبي يزيد و"بقطع الرؤوس فقطع منها ما يعجز الوصف ويخرج عن الحد والنعت"[284]،و"طوفت الرؤوس بالقيروان"[285]،كما "طيف بالقيروان برأس الفضل بن أبي يزيد"[286].وهكذا أضفى الفاطميون على تلك التقنية طابعاً احتفالياً للامعان في ترسيخ هيبة السلطة وقوتها،وبث الرعب عند كل من تسول له نفسه التمرد والعصيان[287]،ودون أدنى مراعاة لشروط الصحة العامة،إذا ما أخذنا في الاعتبار بقاء تلك الرؤوس معلقة لعدة أيام وربما في أجواء شديدة الحرارة،مما يتسبب معه انتشار الروائح الكريهة[288].

---

(283) إدريس:تاريخ،ص474.

(284) الجوذري:م.س،ص50.

(285) ابن حماد:م.س،ص76.

(286) ابن حماد:سيرة بني عبيد،ص79.

(287) أرسل المنصور الفاطمي عام 336هـ بثلاثمائة رأس من رؤوس ثوار حصن "ماواس" وأمر بتعليقها على أبواب المنصورية والمهدية ومعها رسالة إلى عامله على المنصورية يقول فيها "وأمر أمير المؤمنين ...وبعث برووس مقدمي الفسقة ومذكوريهم وذوي التقدم منهم،وكتب أسماءهم في رقاع لتطوف بها في المحافل من قبلك...ويعاين عوام الرعية من جميل صنع الله...ويقابلونها بحقها ويسعون بشكرها...".إدريس:تاريخ،ص479.

(288) بولقطيب:م.س،ص46.

لم تقتصر العقوبات الموجهة للجسد على عقوبة قطع الرأس –وما تحمله من دلالة القضاء على العقل المدبر للفتنة والمتحكم فيها[289]–وإنما امتدت لتشمل أعضاءً أخرى كبتر الأذرع والسيقان وقطع الألسن والآذان،فقد عوقب ثوار هوارة بطرابلس 298هـ/911م بقطع آذانهم[290]،وحين أعلن والي صقلية ابن قرهب عام 303هـ/916م الخلاف على المهدي وتم القبض عليه وعلى ابنه وقاضيه ابن الخامي قبل هروبهم للأندلس،وجيء بهم مصفدين في الحديد أمر بهم المهدي "فضربوا بالسياط،وقطعت أيديهم وأرجلهم"[291]،وفي عام 307هـ/920م عوقب أحد المؤذنين ممن شهد عليه بعض الشيعة أنه أذن ولم يقل "حي على خير العمل" بأن"قُطع لسانه"[292]،وفي عام 309هـ/922م تعرض سجان بأحد سجون المهدية للعقاب نتيجة هروب بعض المحبوسين بأن"قُطعت يدا السجان ورجلاه"[293]،ولما ظفر المنصور بأحد الثوار في جبل أوراس عام 336هـ/948م "قطع أيدي أصحابه وأرجلهم وصلبهم"[294].

([289]) البكري:م.س،ص96.

([290]) ابن عذاري: ج1،ص163.

([291]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص174.

([292]) أبي العرب تميم:م.س،ص235، ابن عذاري:م.سج1،ص183،المالكي:م.س، ج2،ص152.

([293]) المالكي:م.س، ج2،ص174..

([294]) ابن حماد:م.س، ص66.

لجأ الفاطميون إلى الخنق كوسيلة لإزهاق أرواح الجناة،فقد اكتشف أبو عبدالله الشيعي بعد إسقاطه لدولة الأغالبة عام 296هـ/909م مؤامرة يقودها إبراهيم بن بربر المعروف بالقوس للوثوب عليه"فُقتل خنقاً"[295]،وحين وُجهت إلى رجل من أهل القيروان تهمة إثارة الشغب وتحريض السكان على الثورة ضد المهدي"حكمه عبيدالله ..وحبسه ثم خنق حتى مات"[296].

كان من أبشع صور الإعدام المذكورة في المصادر القتل عن طريق الركض بالأرجل بشرية كانت أم حيوانية،فقد وصف المالكي[297]طريقة قتل التاجر الأندلسي الفقيه أبو جعفر بن خيرون بتحريض من القاضي المروذي عام 300هـ/913م،حيث أُتي به إلى مجلس والي القيروان بن أبي خنزير"ثم بطح على ظهره وطلع السودان فوق السرير فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات..وألقوه في حفير"،ومن عجيب القدر أن يكون جزاء المروذي من جنس عمله،حيث أنه تعرض لنكبة على يد المهدي،الذي فوض لابن أبي خنزير أمر التخلص منه "فألبسه ملبساً ورماه في إسطبل الدواب تمشي عليه فركضت في بطنه حتى قتلته"[298].

([295]) ابن عذاري:م.س،ص150.

([296]) ابن عذاري:م.س،ص185.

([297]) المالكي:م.س،ج2،ص54.

([298]) الدباغ:م.س،ج2،ص ص 290-291.

تتوفر بالمصادر جملة من القرائن الدالة على اعتماد السلطة الفاطمية أسلوب الصلب في حق بعض الخصوم والمغضوب عليهم،فحسب رواية ابن عذارى[299]قُتل الفقيهان ابن البرذون وابن هذيل عام 297هـ/910م"وطيف بهما في سماط القيروان،مجرورين مكشوفين ثم صلبا"،وحين قتل ابن قرهب وأبنه وقاضيه حملوا إلى أحد أبواب المهدية"وصلبوا هناك"[300] وبعدما قطع لسان المؤذن عروس "قتل بالرماح وصلب"[301]،وأصدر المهدي أوامره بمعاقبة رجلين بالمهدية فـ"ضربا ثم قتلا ثم صلبا"[302].ولم يقتصر الأمر على صلب الأموات إذ ترد إشارة عمن أمر به أن "يضرب خمسمائة سوط ويصلب حياً"[303]،وتؤكد رواية ابن حماد[304]اعتماد الفاطميين على الصلب كعقوبة تشهيرية لتكون عبرة لمن يعتبر،فحين أجهز المنصور على أحد الثوار "جعله في تابوت وكان يصلبه في كل موضع يحل به".

([299]) ابن عذاري: ج1،أحداث 297هـ

([300]) ابن عذاري: ج1،ص174.

([301]) أبي العرب تميم:م.س،ص235، ابن عذاري: ج1،ص183،المالكي:م.س،ج2،ص152.

([302]) الخشني:م.س،ص230..

([303]) اللبيدي:م.س،ص40.

([304]) م.س،ص65.خاطب أحد الشعراء المنصور بعد صلبه لأبي يزيد بقوله: وضربته مثلاً يسير في الأقارب والأباعد. انظر:ابن حماد:م.س،ص77.

وإذا ما حملت تلك المعطيات في طياتها وبشكل ضمني نوعاً من التعدي للمحاذير الشرعية وعدم التورع عن التمثيل بالجثث[305]،فإن إشارات أخرى تكشف عن تجاوزات أبشع في حقوق الموتى دون أدنى مراعاة لحرمتهم،فقد سارع واحد من قرابة الشيخ أبي فضل الممسي إلى إخفاء جثته بعد قتله في معركة ضد الفاطميين عام 333هـ/945م"وكانت بنو عبيد ..يطلبوا جثته ليتشفوا منه"[306]،وبعد قضاء المنصور على ثورة أبي يزيد توجه إلى تاهرت وأمر"بنبش عظام مصالة وفضل بن حبوس واحرقها بالنار"[307]،ونكاية في أهل السنة الذين حذروا المعز الفاطمي من تحريف قبلة مسجد القيروان[308]عام 345هـ/957م،وأنه لن يستطيع بقوة الرعاية التي كانت تحيط بهذا الجامع بفضل بركة دعاء عقبة بن نافع للمدينة وجامعها أمر المعز "بنبش قبر عقبة بن نافع وإحراق رمته بالنار"،إلا أن الجند عجزوا عن تنفيذ المهمة ببركة عقبة[309].

([305]) عياض:مدارك،ج2،ص29 حيث يقول "اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل ومُثّل به".

([306]) المالكي:م.س،ج2،ص298..

([307]) ابن حماد:م.س،ص77.

([308])أثبتت الدراسات الحديثة وجود انحراف بجامع عقبة نحو الجنوب بحوالي 31 درجة.انظر:

Sebag (P),La grande mosquée de Kairouan,1963,p.19.

([309])مجهول:الاستبصار،ص119، الحميري:م.س،ص487.ويبدو أن حرص المعز على حمل رفاة أبيه وأجداده وهو يهم بمغادرة المغرب يفسر خوفه من تعرض قبورهم للنبش ورفاتهم للحرق من قبل ساكنة بلاد المغرب كرد فعل طبيعي لاستخدامه الأسلوب ذاته مع موتاهم.الذهبي:تاريخ الإسلام،ج8،ص179.

بما أن الخليفة لا يُنافس،وللجمع بين العرض العقابي للردع ونقشه في ذاكرة الجماهير والاحتفال التشهيري للإمعان في ازدراء الخصم أو الثائر كان يُنصب له حفل إذلال قد يتجاوز الموت نفسه[310]؛حيث يُقاد عاري الرأس،ويطاف به ويصفع على قفاه،مما يسقط عنه خصائص الرجولة،وقد يوضع في قفص مما يجعل منه حيواناً،وهو موجه أصلاً لوشم الذاكرة من خلال هذا الأثر المرعب،فقد أراد المهدي إذلال اليسع بن مدرار والتشفي منه قبل قتله فأمر بضربه "بالسياط فضرب وطيف به في بلاد سجلماسة"[311]وقبل قتل الفقيهين ابن هذيل وابن البرذون"طيف بهما في سماط القيروان مجرورين مكشوفين"[312]،"غير مستورين"[313]،وبالمثل قُطّع لسان عروس المؤذن ثم "طيف به القيروان ولسانه بين عينيه ثم قتل" [314]،أما الفقيه ابن الوليد الذهلي(ت339هـ/951م)والذي كان شديد البغض للفاطميين،كثير السب لهم فقد تم القبض عليه وطوف "في جميع القيروان عرياناً وصفع قفاه حتى سال الدم من

([310])آثر بعض الثوار الانتحار هروباً من هذا المصير المحتوم.ابن حيان:المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،دار الثقافة ،بيروت،1983م،ص38،ابن عذاري:م.س، ج1،ص131، ج2،ص243،ابن خلدون:م.س، ج6،ص182.

([311]) النويري:م.س، ج28،ص65.

([312]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص155.

([313]) الخشني:م.س،ص316.

([314]) المالكي:م.س، ج2،ص152.

رأسه"[315]،وبعدما قُبض على الثائر المارطي وأنصاره الكتاميين عام 300هـ/913م حُمل الأسرى "فطوفوا بالقيروان على الجمال،وعليهم القلانس الطوال المشهرة بالقرون والمصافع فقتلوا بمدينة رقادة"[316]،وحين أجهز الموت على أبي يزيد النكاري دون أن يشفي منه المنصور غليله،تفنن الأخير في إظهاره كأنه حي،وأخضع جثته لهذا النوع من الإذلال حيث "أمر بسلخه وحشو جلده قطناً وخيطت وصاله حتى تمت جثته وصار كأنه نائم وقدد لحمه وملح"[317]"حتى ظهرت صورته كأنها ناطقة"[318]،وأدخله في قفص صُنع له خصيصاً [319]،و"البس قميصا،وقلنسوة بيضاء،واركب جملاً وأردف خلفه ....قردان قد علما،فكانا يصفعانه ويعبثان بلحيته..فطوف بالقيروان وصبرة"[320] "ثلاثة أيام متوالية وعليه الطرطور والقردان وهو على جمل كالراكب" [321].ولم يتردد النعمان[322] في تسجيل رواية تشهد على سيطرة شهوة إذلال الخصوم على تفكير

---

(315) عياض:م.س،ج2،ص47.

(316) ابن عذاري:م.س،ج1،ص168.

(317) ابن حماد:م.س،ص76.

(318) إدريس:تاريخ،ص452.

(319) ابن حماد:م.س،ص74، المقريزي:الحنفا،ج1،ص85.

(320) ابن حماد:م.س،ص78.

(321) إدريس:تاريخ،ص469.

(322) المسايرات،ص418.

المعز،حيث أنه قبل القبض على خصميه المواليين للأمويين أحمد بن بكر الجذامي وابن واسول أشرف بنفسه على وضع تخطيط لعجلتين محكمتي الصنعة لم يسبق لأحد قبله عملهما،لاستخدامها في التشهير بهذين الخصمين.

يعد التعذيب أحد أهم مظاهر العنف،والذي اعتبره البعض[323]طقساً منظماً لوسم الضحايا،وفناً يرتبط بنمط الإصابة الجسدية،وبكمية وزخم الأوجاع،وتكنولوجيا تهدف السلطة من وراء استخدامها إلى ترويض الجسد البشري واستثماره وإخضاعه واستعباده،وهو ما كان حاضراً بشدة في أسلوب الفاطميين العقابي،ففضلاً عما ورد عمن"ماتوا في دار البحر بالمهدية ..في العذاب" [324]،وعمن"عُذب وأخذ ماله"[325]،وعمن"عُذب حتى مات"[326]،وعمن"مات في عذاب الشيعة"[327]،وعمن عذب "عذاباً شديدا"[328] ،وعمن "عذب أصناف العذاب"[329]،وعن حزن المنصور لموت الثائر

([323])ميشيل فيكو المراقبة والمعاقبة،ص71 ،72،أوبيير دريفوس وبول رابينوف:ميشـيل فوكو:مسيرة فلسفية،ترجمة جورج أبي صالح،مركز الإنماء العربي، بيروت،د.ت،ص104،نيكولاس بولانتزاس:نظرية الدولة،ترجمة ميشيل كيلو،التنوير للطباعة والنشر،بيروت،2010م،ص26.

([324]) الدباغ:م.س،ج3،ص34.

([325]) الخشني:م.س،ص236.

([326]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص169.

([327]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص181.

([328]) عياض:م.س،ج2،ص58.

([329]) الخشني:م.س،ص233.

أبي يزيد لأنه كان "يريد حياته ليعذبه بأنواع العذاب"[330]،تكشف المصادر عن عدة أساليب وأشكال للتعذيب مارستها السلطة الفاطمية،مثَّلَ الضرب بالسياط واحدة منها،حيت ترد إشارات عمن"ضرب في الجامع على رؤوس الناس" [331] وعمن "ضرب...خمسمائة سوط"[332] وعمن ضرب"ضرباً مهيناً فمات"[333]،وعمن"بطح على خمرة طين وضرب تسعاً وسبعين درة"[334]،وعمن "حبس وضرب"[335] ،وعمن "ضرب بالعصي بطحا"[336]،وكشف قروي من أهل طرابلس عن ظهره أمام أبي يزيد النكاري فإذا "آثار السياط قد عمت ظهر القروي...فذكر أن كل عامل يتولى يفعل ذلك به"[337]

ولتفادي حرمان الخصم من الوجود دون الإحساس بالألم فيما يعرف بـ"فن إمساك الحياة في الوجع"[338]شاع في عهد المنصور الفاطمي سلخ جلود المناوئين قبل

([330]) الدرجيني:م.س،ص102.

([331]) الخشني:م.س،ص230.

([332]) المالكي:م.س،ج2،ص48.

([333]) الخشني:م.س،ص232.

([334]) المالكي:م.س،ج2،ص314..

([335]) الخشني:م.س،ص233.

([336]) الخشني:م.س،ص231..

([337]) التجاني:م.س،ص254.

([338]) فوكو:المعاقبة،ص71.

قتلهم كصورة بشعة من صور التعذيب،فحسب رواية ابن حماد[339]جيء إليه بغلام ثائر أدعى الإمامة بجبل أوراس فأمر "بسلخه حياً وحشا جلده قطناً...وكذلك كان يفعل بأمثاله ممن يبالغ في الانتقام منه حتى سمي السلاخ"،كما وقع ثائر آخر يعرف بابن أبي بردعة في يد المنصور عام 336هـ/948م "فأمر به ...فسلخ على باب المهدية"[340]وقد تعرض الثائر الشهير أبو يزيد النكاري لهذا النوع من التعذيب مما عجل بوفاته حيث "أمر إسماعيل بسلخه فأخذوا يسلخونه فلما انتهوا إلى سرته مات"[341].

من أجل انتزاع الاعتراف ابتكر الفاطميون وسيلة جديدة من وسائل التعذيب،كشف عنها الخشني[342]أثناء ترجمته لرجل يدعى علي بن علي بن أبي المنهال الذي اتهمه المهدي أنه اختلس مالاً وفيراً من أموال الدولة،فُعذب أصناف العذاب ليقر بالجريمة وكان من بينها أنه "كان يدخل رأسه في جراب جير".

من طرق التعذيب التي وردت بالمصادر صلب الشخص حياً وتعريضه لحرارة الشمس وحرمانه من الماء حتى يموت عطشاً،وهو ما تجسده رواية

---

(339) ابن حماد:م.س،ص65.

(340) إدريس:تاريخ،ص486.

(341) الدرجيني:م.س،ص102.

(342) م.س،ص233.

المالكي[343]بخصوص قاضي مدينة برقة محمد بن إسحاق الحبلي الذي تعرض للعقوبة من قبل عامل برقة ابن الكافي عام 341هـ/953م لأنه رفض الصلاة بالناس والخطبة للعيد لعدم ثبوت رؤية الهلال لديه،حيث "نصب له صارياً عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب المهدي وعلق بيده إليه في الشمس فأقام ذلك ضاحياً للشمس في شدة الحر يومه ذلك ،فلما كان بالعشي مات..وكان يطلب من يسقيه الماء في ذلك الحال فلا يجسر أحد من الناس يسقيه لأنهم خافوا فلما مات أخذوه ومضوا به فصلبوه على خشبة بباب أبي الربيع".

غير أن أغرب طرق التعذيب التي قام بها الفاطميون تتمثل في إحراقهم للناس أحياء،وبما أنها تشكل قسوة بالغة في التنكيل فقد تم استخدامها مع من ثبت عليهم جريمة التآمر على الدولة بالتخابر لصالح الخصوم ،ففي عام 301هـ/914م اتهم القائد الشيعي حباسة بن يوسف جماعة من أهل برقة بمراسلة العباسيين فأضرم لهم "ناراً ،وأجلسهم حواليها،وأمر بأن تقطع لحومهم وتشوى ثم يطعمونها وقذفهم بعد ذلك في النار"[344]،ويبدو أن هذا النوع من العقاب كان ملازماً لأهل برقة زمن الفاطميين،فبعد القضاء على ثورتهم عام 304هـ/917مـ بعد حصار دام ثمانية عشر شهراً "أُحرق قوم

([343]) المالكي:م.س،ج2،ص405.

([344]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص170.

منهم بالنار"[345]،وتعرض رجل للحريق على يد حاشية المهدي حيث "أضرموا عليه النار طوال الليل"[346]،وحسب رواية ابن حماد[347]كان للمنصور طريقة مبتكرة "للموت البطيء" خصصها لمن يقع في يده من أنصار أبي يزيد،حيث بنى أسفل جبل كيانة"تنوراً كبيراً وأضرمه ناراً ،وعلق عليه بكرة،فإذا اخذ أحداً من البربر علقه برجله إلى البكرة ثم مالاه في التنور إلى موضع يناله حر النار فيه،فإذا اشرف على الموت روح عنه شيئاً فإذا رجعت إليه نفسه أعاده حتى يموت".

إلى جانب أصناف القتل وأنواع التعذيب كحلول ناجعة للتعامل مع الخصوم،لجأ الفاطميون إلى أساليب الذبح[348]،وبقر البطون[349]،والاغتيال السياسي[350]،والقتل بالرجم[351]،وقصف المدن والقرى بالمنجنيق[352]،والحصار والتجويع[353]،وانتهاك

---

(345) ابن عذاري:م.س،ج1،ص175..

(346) المالكي:م.س،ج2،ص254.. النويري:م.س،ج1،ص277.

(347) ابن حماد:م.س،ص74.

(348)المالكي:م.س،ج2،ص49،ابن عذاري:م.س،ج1،ص284،ابو شامة:م.س،ج2،ص142.

(349)التجاني:م.س،ص27.

(350) ابن حيون:افتتاح،ص316،

(351) التجاني:م.س،ص25.

(352) إدريس:تاريخ،ص224.

(353) ابن حيون:افتتاح،ص178-179،ابن عذاري:م.س،ج1،ص169. النويري:م.س،ج28،ص68.

الحرمات [354]،والتهجير القسري للسكان [355]،والحرق والتدمير [356]،ونهب الأموال والممتلكات[357]،والتنكيل[358]والحبس[359]والإقامة الجبرية[360]وحظر التجول[361]ومنع التجمهر حتى في الجنائز [362]،والتضييق على السجناء وحرمانهم من أبسط الحقوق[363]،واسترقاق الخصوم[364]،والتجنيد الإجباري[365].

لا يمكن إغفال العنف كمتلازم وربما كمحرك للسياسة المالية الجائرة للفاطميين،إذ يصعب فهم تاريخهم بمعزل عن مضامين سياستهم الاقتصادية البعيدة

---

(354) ابن عذاري:م.س،ج1،ص449، الدرجيني:م.س،ص94.

(355) اللبيدي:م.س،ص73،المالكي:م.س،ج2،381، الدرجيني:م.س،ص94.

(356) ابن عذاري:م.س،ج1،ص169،162، إدريس:تاريخ،ص224.

(357) ابن حيون:افتتاح،ص208.

(358) الخشني:م.س،ص231.

(359)الجوذري:م.س،ص94،الخشني:م.س،ص230 ،المالكي:م.س،ج2،ص264،ابن الفرضي:تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس،عني بنشره وصححه السيد عزت العطار،مطبعة المدني،القاهرة،1954م،ج1،ص143،عياض:م.س،ج2،ص 41، 163.

(360) أبي العرب تميم:م.س،ص363،الخشني:م.س،ص 231،المالكي:م.س،ج2،ص287، 313.

(361) الجوذري:م.س،ص74، ابن عذاري:ج1،ص151،المالكي:م.س،ج2،ص332،عياض:م.س،ج2،ص72.

(362)المالكي:م.س،ج2،ص258،عياض:م.س،ج2،ص75.

(363) المالكي:م.س،ج2،ص148.

(364)البكري:م.س،ص96،ابن عذاري:م.س،ج1،ص166،162، 187،النويري:م.س،ج28،ص56.

(365)اللبيدي:م.س،ص33،المالكي:م.س،ج2،ص381.

المدي [366]،فقلد فرضت مشروعات الفاطميين المسرفة في الطموح للسيطرة على العالم الإسلامي برمته الإبقاء على قوات مسلحة قوية وباهظة التكاليف،مما استلزم إجراءات مالية جائرة[367] شديدة الوطأة على السكان[368]،مستندة إلى مبررات شرعية[369]،فقبل مغادرته سجلماسة أجبر المهدي الدعاة على تسليمه الأموال التي جمعوها[370]ليضمها إلى الأموال التي صادرها من أغنياء المدينة[371]،وحين دخل رقادة أصدر عفواً عاماً للناس في الأنفس والذراري دون الأموال[372]،وراح يستحدث أنواعاً من الجبايات والمغارم التي أثقلت كاهل الناس[373]،كما امتدت يده إلى "أموال الأحباس والحصون"[374].ولأن

---

(366) عبد الحي شعبان:الدولة العباسية،الفاطميون 132-448هـ،الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت،1986م،ص224.وحول تلك السياسة المالية انظر الحبيب الجنحاني:"السياسة المالية للدولة الفاطمية بالمغرب"،ضمن كتابه المجتمع العربي الإسلامي،عالم المعرفة،ع319، 2005م،ص ص207-220،بوبة مجاني:" أثر الضرائب في ثوابت و متغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية"،مجلة دراسات تاريخية،سوريا،مج20، ع 67-68، 1999م،ص ص 127-157.

(367)ألفرد بل:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي،ترجمة عبد الرحمن بدوي،بنغازي،1966م،ص162،

Marcais(G):La Berberie musulmane el I'Orient au moyen age,Paris 1946,p.143.

(368)الجنحاني:م.س،ص207.

(369) ابن حيون:إتباع الأئمة،ص ص68-70، 75-85،افتتاح الدعوة،ص 189.

(370)المقريزي:الحنفا،ج1،ص67.

(371) مجهول:الاستبصار،ص202.

(372)ابن عذاري:م.س،ج1،ص158.

(373)ابن حيون:المسايرات،ص337-338،الخشني:م.س،ص ص168 ،169 ،178 .

(374) الدباغ:م.س،ج2،ص199.

الجبايات لا تدفع من طرف الملزمين عن طيب خاطر بل تستخلص بالضغط والإكراه[375]ولتمتع الجباة بسلطة كبرى وبهامش كبير من الحرية زيادة على استئثارهم بما يزيد عن القوانين،فقد أُستعملت كل الوسائل لاقتضاء المال[376]،وهو ما تكشف عند الروايات،ففي عام 301هـ/914م قتل القائد الفاطمي حباسة بن يوسف من أهل برقة ألف رجل،ثم أمر "بجمع جثثهم ووضع عليها كرسياً وجلس فوقه ثم أدخل وجوه أهل البلد فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتلى...وقال:إن لم تحضروني غدا مائة ألف مثقال قتلتكم أجمعين فاحضروها إياه"[377]،ولم يشفع عند المهدي ما تعرض له السكان في عام 307هـ/920م من الطاعون وغلاء الأسعار بل نال الناس "الجور الشامل من الشيعة والتعلل على أموال الناس من كل جهة"[378]،وأشار المعز الفاطمي في إحدى رسائله أن جماعة من أهل قصر الافريقي شكوا إليه واليهم "وانه قبض على رجل منهم بسبب تظلمه ..فاغرمه مالا وأودعه السجن"[379]

لم يقتصر الأمر على ذلك بل امتدت أيدي الفاطميين لانتزاع أموال الناس بالقوة والإكراه،فقد خصص المهدي ديواناً لأموال الهاربين مع زيادة الله الاغلبي "واستصفى

([375]) ابن خلدون:المقدمة،ج2،ص273.
([376]) محمود إسماعيل:"المالكية"،ص ص 82-83.
([377]) ابن عذاري:م.س،ج1، 170.
([378]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص181.
([379]) الجوذري:م.س،ص94.

أموالهم"[380]،وبعد تخلصه من أبي عبدالله الشيعي وأخيه "استصفى أهل الثروة وأخذ أموالهم كلها" [381]،وفي عام 299هـ/912م دخلت عساكره مدينة تاهرت"وانتهبوا الأموال"[382]،وفي عام 300هـ/913مـ تم القبض على التاجر الأندلسي الثري محمد بن خيرون بعد أن وشى به البعض بأن لديه وديعة كبيرة "فطولب بها وعذب حتى مات"[383]،وفي عام 305 هـ/918م تم القبض على متولي جباية طرابلس وتونس محمد بن عبد السلام من أجل "أخذ نعمته ومات في عذاب الشيعة" [384]،وفي عام 309هـ/922م دخل حباسة بن يوسف مدينة سجلماسة "وانتهب أموالها"[385]،ولما مات أبو سعيد المعروف بالوكيل في عهد المهدي،وكان من ذوي الأموال الوافرة،هرع بعض قواد الفاطميين إلى داره وأخذوا منها "أربعين ألف مثقال،سوى البز والجوهر،وضربوا ابنه"[386]،وفي إحدى جولاته العسكرية ببلاد المغرب كان القائم "ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله.. ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة،...ويضع المكوس

([380]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص181.

([381]) ابن عبد الجبار:م.س،ج2،ص599.

([382])ابن عذاري:مصدر سابق،ج1،ص166.

([383])ابن عذاري: م.س،ج1،ص169.

([384]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص180-181.

([385]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص166.

([386]) الخشني:م.س، ،ص175.

والضرائب ويتوصل إلى إزالة النعم"[387]،كما تتوالى الإشارات عن "الأمراء الجائرين الظالمين المعروفين بالظلم والعدوان على أموال المسلمين"[388]،وعمن "صادره السلطان العبيدي وضرب وامتحن" [389]،وعمن"ضربه الشيعي وعذبه وأخذ نعمته"[390]،وعمن"طولبوا بالأموال وعلقوا عليها"[391]،وعمن دارت عليه"دائرة في حين تغريم الناس فحبس وضرب"[392]،وعمن"هرب من السلطان خوفاً منه يطلب ماله ظلماً"[393]،وعمن يغرمه "السلطان على المواشي والعبيد خاصة ولا ماشية له ولا عبيد" [394]،وعمن"يبيع عروضه في السوق لأجل أن السلطان رمى عليهم ظلماً"[395]،وعمن "طلبه السلطان بغرم مال فتسلفه"[396]،وعن"عامل السلطان الجائر الظالم يأخذ العشر يأكلها ويغرم الناس بلا حق"[397]،وحسب رواية دالة تجاوز النهم لجمع المال حدود المعقول،حتى أن امرأة رفعت شكواها بأن أحد الجباة تعدى عليها

---

(387) ابن عبد الجبار:م.س،ج2،ص599.

(388) محمد بن سحنون:كتاب الأجوبة،تحقيق ودراسة حاد العلويني،دار سحنون للنشر،تونس،2000م،ص250.

(389) الذهبي تاريخ الإسلام،ج7،ص151.

(390) الخشني:م.س،ص217.

(391) اللبيدي:م.س،ص64.

(392) الخشني:م.س،ص232.

(393) الونشريسي:م.س،ج9،ص544.

(394) البرزلي:م.س،ج5،ص154.

(395) الونشريسي:م.س،ج9،ص566.

(396) البرزلي:م.س،ج5،ص154.

(397) الونشريسي:م.س،ج9،ص572.

لتغريمها مالاً،وأنها تعرضت من أجل ذلك للـ"تعرى من كسائها"[398]،كما تعرضت امرأة اباضية للضرب والاعتقال من قبل جنود السلطة بعد أن عجزت عن دفع غرامة فرضت عليها[399].وبينما تصدى بعض المالكية لتلك السياسة المالية الجائرة،وجابهوا السلوك العنيف من قبل العمال والقواد ضد الرعية في مصادرة الأموال ونهب المدن بالفتوى بجواز التهرب من دفع الضرائب للفاطميين[400]،متبرئين من ممارسات الدولة ومعاملاتها غير المشرعة[401]،عمد جوذر[402]إلى تبرئة الخلفاء من "كثر امتداد أيادي العسكريين إلى نهب غنائم الرعايا"،وهو ما تدحضه روايات أخرى تؤكد على أن جمع الأموال الطائلة لصالح الخزانة الفاطمية كان وسيلة ناجعة للحظوة لدى الخلفاء وتولي المناصب العليا[403].

ردود أفعال الرعية تجاه العنف الفاطمي.

---

(398) عياض:م.س، ج1،ص498.

(399) الشماخي:السير،المطبعة البارونية،القاهرة،1301هـ،،ص465.

(400) ابن أبي زيد القيرواني:م.س،ص357،الداودي:كتاب الأموال،تحقيق:رضا محمد سالم،ط.دار الكتب العلمية،بيروت،2008م،ص179،الونشريسي:م.س، ج9،ص565.

(401) المالكي:م.س، ج2،ص298.

(402) م.س،ص43.

(403) الجوذري:م.س،ص129، 140،ابن عذاري:م.س، ج1،ص188، 215.

أشار ابن خلدون[404] إلى واحدة من المؤشرات السلوكية والآثار النفسية الجماعية لظاهرة العنف في الذهنية المتلقية لها بقوله :"الملك إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس..شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب و المكر و الخديعة "،حيث يسعى الأفراد من "الرعايا المتخاذلين الذين.. تعبدهم القهر و رئموا للمذلة"[405]عوض مقاومة المتسلط إلى التماهي والتآخي معه والإعجاب به والاستسلام لإرادته في حالة من التبعية الكلية،وينهار اعتباره لذاته،ويرى في المتسلط حق السيادة ،وتبرز حالات الاستزلام والتقرب والاستكانة والمهانة[406]،فـ"الرجال التواقين لنيل رضا أمير يتقدمون له في كل الأحوال تقريباً بالأثمن مما في حوزتهم،أو بالأشياء التي يعلمون أنها تسعده بوجه خاص"[407]،وهكذا أمام شتى وسائل الإكراه والقمع التي اتبعها الفاطميون،تملك الخوف قلوب بعض العلماء والفقهاء والزهاد[408]فركنوا إلى اللين

([404]) المقدمة،ج1،ص323.ويقول في موضع آخر"إذا كانت الملكة و أحكامها بالقهر و السطوة و الإخافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم و تذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة".م.س،ج1،ص202.

([405]) ابن خلدون:م.س،ج1،ص44.

([406]) مصطفى حجازي:التخلف الاجتماعي:مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور،ط9، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،2005،ص43،اريك فروم:الخوف من الحرية،ترجمة مجاهد عبد المنعم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1972،ص127-128.

([407]) القلموني:م.س،ص24 .

([408]) المالكي:م.س،ج2،ص175..

والمرونة والمراوغة،ففضلاً عمن آثروا السلامة وعدم المواجهة[409]،وأحجموا "لهيبة السلطان"[410]،وخشية"من عساكر الشيعة"[411]،وعمن تشيعوا[412]وسايروا الخط الفكري للدولة،وانخرطوا في سلك الدعوة الإسماعيلية وأصبحوا من الأطر العلمية لها[413]،تتواتر الإشارات عمن كان يأتي السلطان"في الهناء والعزاء مداراة"[414]،وعمن يقبل هداياهم[415]،وعمن يتلطف معهم ويقول بآرائهم[416]،وعمن يعلم أبنائهم[417]،وعمن"أوصى بجميع ماله للسلطان"[418]،وعمن"أغلق عن نفسه باب السماع"[419].ولعل في قول أحد المالكية ممن برر مشاركته في ثورة أبي يزيد:"يكفر عنا بجهادنا تفريطنا وتقصيرنا عما يجب علينا من جهادهم"[420]ما يؤكد تراجع الفقهاء في تسيير أمور العامة وتأطير

([409]) جاء على لسان احدهم"إنا لم نبلغ درجة الصديقين حتى نقتل على الحق"،اللبيدي،م.س،ص37.

([410]) الخشني:م.س، ،ص199،ابن أبي زيد القيرواني:م.س،ص347.

([411]) ابن الفرضي:م.س،ص75.

([412])استخدمت مصادر الفترة لفظة "تشرق" للدلالة على الدخول في دعوة الفاطميين.حول هذا المصطلح وتفسيراته انظر:عمر حمادي:"حول نعت الدولة الفاطمية بالتشريق ونعت الداخلين فيها بالمشارقة"،حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع 39،(1995)،ص ص281 - 304 .

([413]) اللبيدي:م.س،ص38، 47، الخشني:م.س،ص ص 175، 223،214-233،226،المالكي:م.س، ج2،ص259،504.

([414]) المالكي:م.س، ج2،ص260.عن تحريم المالكية قبول هدايا الامراء الجائرين الظالمين انظر محمد بن سحنون:م.س،ص252.

([415]) المالكي:م.س، ج2،ص260.

([416]) الدباغ:م.س، ج2،ص148.

([417]) عياض:م.س، ج2،ص157.عن تحريم المالكية تعليم أبناء الامراء الجائرين انظر محمد بن سحنون:م.س،ص253.

([418]) الخشني:م.س،ص224.

([419]) المالكي:م.س، ج2،ص358..

([420]) المالكي:م.س، ج2،ص340..

الانتفاضات الحضرية بالمقارنة مع ما كان عليه الأمر خلال فترة الأغالبة،وهو ما انتبه إليه النعمان[421]حين فاخر بأن افريقية كانت مليئة "شيوخ ووجوه وفقهاء لهم مناظر وعقول ورجاحة وألسنة..فانقطع ذلك منهم بظهور أولياء الله فيهم،ومن كل من خالف أمرهم من أمثالهم وكسف الله نورهم وأمات بهائهم واذهب بهجتهم"،وربما في تحسر ابن أبي زيد القيرواني على ضعف الهمم في الإقبال على العلم[422]،ووصف دراس بن إسماعيل علماء القيروان بقلة الحفظ[423]ما يؤكد ذلك.

عمد بعض الأعيان إلى الاعتراف المشحون بالممالأة والإمعان في التزلف والمداهنة،حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى تقديس الحكام الفاطميين بل والادعاء بإلوهيتهم وعبادتهم،من أمثال "احمد البلوي النخاس" الذي كان يتخذ من رقادة قبلة لصلاته أيام كان المهدي بها،فلما انتقل إلى المهدية،صلى إليها،وكان يتصدى للمهدي ويقول له"ارق إلى السماء.كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق"،وكان يقول لأهل القيروان في عبيدالله "لست ممن يعبد من لايرى.....انه يعلم سركم ونجواكم"[424]،وهو ما نجد له

---

(421) ابن حيون:افتتاح،ص291.

(422) ابن أبي زيد القيرواني:النوادر والزيادات،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو،دار الغرب الاسلامي،1999م،ج1،ص9.

(423)عياض:م.س،ج2،ص139.

(424) ابن عذاري:م.س،ج1،ص186.كرد فعل سريع كتب بعض أحداث القيروان هذين البيتين وتلطفوا في وصولها إلى المهدي دون أن يعلم :

نظيراً في سيرة رجل آخر كان يعد من الزهاد المرابطين يدعى "إبراهيم بن غازي" كان يسترضي الفاطميين بشتى الوسائل التي تصل إلى حد الكبائر[425]،ولا ننسى أولئك المداهنون من الشعراء الذين تجاوزت أشعارهم عبارات المديح[426]إلى دلالات توصف بالكفر والإلحاد[427] .

ليس غريباً أمام هذا التخاذل والتماهي والاستزلام من قبل النخبة والصفوة المفكرة،أن تتملك مظاهر الخوف والرعب قلوب القاعدة الشعبية من المجتمع؛ممن آمنوا أن للسلطة الحق بأن تستخدم حسب رغباتها حياتهم وحريتهم الجسدية ما دامت تبقيهما لهم[428]،وانتهى بهم الأمر إلى الاستسلام للعنف والرضا به،وقبول الاغتراب في طاعة السلطة التي لا تقوم إلا على الإكراه[429]،وقد أسهم في تكريس هذا التصور ونقله إلى مستوى الحقيقة جهود بعض الفقهاء،ممن روجوا أنه لا يجوز الخروج على أصحاب

الجور قد رضينا لا الكفر والحماقة

يا مدعي الغيوب من كاتب البطاقة؟ . ابن عذاري:م.س،ج1،ص160.

(425) ابن عذاري:م.س،ج1،ص186،عياض:م.س،ج1،ص515.

(426) الجوذري:م.س،ص48-49،إدريس:تاريخص455.

(427) المالكي:م.س،ج2،ص495، ابن عذاري:م.س،ج1،ص186.

(428) فرانسوا رانجون:"السلطة والعنف"،ترجمة بدر الدين عرودكي،مجلة الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،لبنان،ع27، 28،1983،ص87.

(429) جان لوك:رسالة في التسامح،ترجمة عبد الرحمن بدوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1988،ص70-71.

السلطة حتى ولو كانوا جائرين[430]،وأن ظلم الحكام وجورهم أنما هي أقدار إلهية وجب استقبالها بالاستكانة والتضرع[431]،محذرين من الخروج "على الأمراء بالسيف وإن جاروا"[432].مرة أخرى يؤكد ابن خلدون[433]أن سياسة البطش التي اتبعها الفاطميون دفعت إلى الرضوخ والإذعان على المستوى الشعبي فالرعية"مسلمون للعبيدين أمرهم مذعنون لملكهم...لما حصل من صبغة الملك..ولما استحكم من الغلب"،وهكذا ألقت السياسة الدموية التي تعامل بها ابو عبدالله الشيعي مع خصومه أثناء اجتياحه لبلاد المغرب الرعب في قلوب ساكنيه ،حيث "اهتز المغرب لخروجه..وزالت القبائل عن طريقه،وأتته رسلهم فدخلوا في طاعته"[434]،و"أستأمن إليه كثير من القبائل...وسلموا الأمر إليه"[435]،وهو ما ينسحب على أهل مدينة باغاية الذين "كاتبوه ..وان جاء سلموا له أمره..وخرج جماعة من وجوه أهل باغاية فتلقوا أبا عبدالله وسألوه الأمان"[436]،وانتاب

([430]) الوسياني: سير أبي الربيع الوسياني،تحقيق عمر بن لقمان بو عصبانة،وزارة التراث والثقافة،مسقط،2009م ،ص507،عياض:م.س،ج1،ص198. ،البرزلي:المصدر السابق،ج4،ص10.

([431])أبو يوسف: كتاب الخراج،دار المعرفة،بيروت،1979م،ص10.

([432]) الملطي:التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،تحقيق محمد زاهد الكوثري،مكتبة الثقافة الإسلامية،القاهرة،1949م،ص24،المعظم عيسى الأيوبي:السهم المصيب في كبد الخطيب،مكتبة الخانجي،القاهرة،1932م، ص60.

([433]) المقدمة،ج1،ص265.

([434]) المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج1،ص65.ابن الأثير:م.س،ج6،ص593.

([435]) النويري:م.س،ج 28،ص55.

([436]) ابن حيون:افتتاح،ص 203.

أهل رقادة حالة من الهلع والرعب والخوف والإرجاف[437] عند اقتراب القائد الشيعي حيث" ارتجت الحاضرة واضطربت أحوال الجند ويئسوا من البلد وخافوا علي ذراريهم وأهليهم السبي والاسترقاق"[438] و"ركب بعض الناس بعضاً"[439] مما أضطر فريقاً منهم إلي الفرار إلى صقلية هرباً من بطش الشيعي[440] وحين قصد القيروان "هال الناس أمره،وخرج إليه الفقهاء ووجوه الناس...فانصرفوا أقبح انصراف"[441]،كما طالب بعض عامة القيروان العلماء بالترخيص لهم في التشيع[442]

ولنا أن نقدر حالة الرعب التي تملكت أهل برقة حين قتل حباسة بن يوسف ألف رجل من أعيانهم "فأمر بجمع جثثهم،ووضع عليها كرسياً وجلس فوقه،ثم أدخل وجوه أهل البلد فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتلى،ومات منهم ثلاثة آلاف من الخوف والرعب"[443].ومن غير المستبعد أن تكون أصداء "السياسة الدموية" التي تعامل بها القائم الفاطمي مع بربر برقجانة قد دفعت بربر هوارة ولماية إلى الطاعة والاستسلام،فقد

---

(437) ابن حيون:افتتاح،ص172.

(438) ابن عذاري: م.س، جـ1، ص 145 .

(439) ابن عذاري: م.س، جـ1، ص146.

(440) Amari (M):Storia die Musulmani di Sicilia, Catani, 1933 – 1935, t.2, p.167.

(441) ابن عذاري:م.س،ج1،ص149.

(442) الدباغ:م.س،ج2،ص298.

(443) ابن عذاري:م.س،ج1،ص170..

دخل حصن أغرز وهدم سوره على من حوله فلقوا حتفهم جميعا،واسر من في الحصن وانتهب ما فيه"فأجابت هوارة ولماية إلى طاعة الشيعة"[444]،وحين عاينت القبائل مصير أهل زبرقة على يد القائم الفاطمي" أتته القبائل مذعنة بطاعته خائفة لسطوته"[445]،وكان مجرد مرور جنود الفاطميين في الشوارع يثير الترويع والترهيب في نفوس ساكنيها[446]،وبات القتل والتنكيل هاجساً مرعباً دفع الناس إلى تحاشي ذكر السلطان نهائياً في مجالسهم الخاصة[447]،والتصدي للعلماء الذين يتحدثون عن السلطة في مجالس العلم بالمساجد وتحاشي الجلوس إليهم[448]. وقد عبرت تلك الفئات المغلوبة عن خضوعها للسلطة بمقتضى القهر والسيف من خلال الأمثال الشعبية[449].فهل تسمح لنا تلك المعطيات بالشك في نصوص الإسماعيلية المغلفة بمسوح مذهبية لإعطاء صورة مثالية عن ميل قلوب الرعية إلى السلطة وعن حالة الاطمئنان والسكينة التي غمرتهم؟[450].

([444]) ابن عذاري:م.س، ج1،ص193.

([445]) إدريس:تاريخ،ص225.

([446]) المالكي:م.س، ج2،ص267.

([447]) المالكي:م.س، ج2،ص330.

([448]) الوسياني:م.س ،ص504.

([449]) منها قولهم:"عبيدك أسيدنا،قال بالزز لا بالرضى".الزجالي:أمثال العوام في الأندلس،تحقيق محمد بن شريفة،مطبعة محمد الخامس،فاس،ج2، ،1971م،ص223.

([450])ابن حيون:افتتاح،ص185، إدريس:تاريخ،ص178.

يفرض الاستبداد السياسي والقهر المادي والتهميش،حالة مأزقية غير قابلة للاحتمال واقعياً،مما يدفع المقهور إلى الذوبان في مرجعية روحية وسلطة إلهية لإنشاء تحالف"في اللاوعي"مواجه للسلطة المدنية بكل جبروتها وغلوائها[451]،"إنه يعلو على فضاء الدولة،ويعد هذا الانعتاق من رق الأغيار بمثابة احتجاج على بؤس الواقع السلطوي،وزفرة في وجه السلطة الجائرة" [452].وهكذا التحق بموجة الهاربين من سطوة الفاطميين إلى ساحة الزهد والأربطة جملة من العلماء[453]بين "عالم أو عابد كان يستتر وينزوي بدينه من بني عبيد"[454]محتجين بالفرار من مجاورة الظالمين[455]،وهو ما تصدى له فريق آخر منبهاً على ضرورة عدم الانسحاب وترك الساحة للشيعة لفرض مذهبهم ومزاولة عنفهم ضد العامة[456].

عددت روايات المصادر مظاهرَ المقاومة السلبية لسياسة العنف الفاطمي من قبل بعض المالكية،ففضلاً عن اجتهاد بعضهم في استنقاص السلطة واتهامها بالكفر والإلحاد

([451])حجازي:م.س،ص91 ،92 ،عبدالله حمودي:م.س،ص27.

([452])جان شوفيلي:التصوف والمتصوفة،ترجمة عبد القادر فنيني،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،1999،ص133،حمودي:م.س،ص117.

([453])عياض:م.س،ج2،ص161.

([454]) اللبيدي:م.س،ص47.

([455]) ورد عن مالك قوله بأنه لا ينبغي المقام بأرض يعمل فيها بغير الحق والسب للسلف.ابن أبي زيد القيرواني:الجامع ،ص156.

([456]) عياض:م.س،ج2،ص228.

وتأليب الرعية ضدها [457] وعصيان أوامرها [458]،وكتابة شعارات سرية لإثارة غضبها[459]تحاشي آخرون التعامل مع الشيعة بكافة أشكاله ورفضوا ممارسات الدولة وتبرئوا من معاملاتها غير المشرعة في نظرهم[460]،في حين آثر فريق ثالث المقاومة عبر ظاهرة التأليف كنوع من السلاح في مواجهة الشيعة[461]،وهي وسائل تسببت – حسب البعض– في عزل السلطة الفاطمية في محيطها[462]

"لما كان كل فعل عُنفي يستثير مضاداته العنفية"[463]فقد ارتد عنف السلطة الفاطمية تجاه الرعية إليها من خلال عنف مضاد وثورات مسلحة،تجلت من خلالها ردة فعل الجماعة المغلوبة التي أعلنت عن نفسها في ممارسة عملية يكمن في تفاصيلها عصب الممانعة أمام واقع الغلبة،فنتيجة تحامل الكتاميين على أهل القيروان واستطالتهم عليهم بالأذى ونهب الحوانيت عام 299هـ/912م نادى أهل سوق القيروان "النفير النفير

([457]) ابن حيون:المسايرات،ص536،الذهبي:تاريخ،ج9،ص337.

([458]) الخشني:م.س،ص231.

([459]) ابن عذاري:م.س،ج1،ص152.

([460]) اللبيدي:م.س،ص35، 47، المالكي:م.س،ج2،ص ص107 ،253، 298، 306، الدباغ:م.س،ج3،ص237.

([461]) عياض:م.س،ج2،ص45،21، 143، 161،الدباغ:م.س،ج3،ص22، 91، 92.كما ألف الدودي كتابه "الأموال" للتصدي لسياسة الفاطميين المالية الجائرة معرضاً لاستئثار السلاطين بأرض الخراج،واتخاذهم مال الله دولاً،ومعاملة أهل الغصب والظلم، والارض المغصوبة، والدعوة لمقاطعة النظام المالي والاقتصادي الذي اتبعه الفاطميون الداودي:م.س،ص ص 83، 91، 177، 179 ،181.

([462]) Teerrasse (H.): "Un Tournant de l'histoire musulmane", Hespéris, T.34, 1947, p.318.

([463]) خليل أحمد:م.س، ص19.

فقتل من كتامة أكثر من ألف رجل"[464]،كما امتدت أيدي الرعية بالتطاول على قوافل الفاطميين ونهبها،فحسب رواية الجوذري[465]استغل تشكيل مسلح غيبة المنصور عن المهدية وترصدوا قافلة للفاطميين خرجت من المهدية "فانتهبوا ما كان لهم..واخذوا ما كان لأمير المؤمنين"،كما تؤكد المصادر أن الدافع وراء مشاركة المالكية[466]في ثورة أبي يزيد النكاري[467] هو مواجهة طغيان المنصور"لكثرة ما كان من جور هذا وقتله للناس واستصفائه الأموال"[468]،وحسب رواية الذهبي"[469] قام الثائر النكاري على "بني عُبَيْد،والناس على فاقة وحاجةٍ لذلك،فقاموا معه وأَتوه أفواجًا".

آتت المقاومة المسلحة أكلها وأجبرت السلطة الفاطمية على العدول إلى سياسة الرفق واللين والمهادنة وامتصاص الغضب الجماهيري،فبعد ردة الفعل العنيفة التي

---

[464] ابن عذاري:م.س،ج1،ص166.

[465] م.س،ص69.

[466] عن مبررات مشاركة المالكية في الثورة رغم الخلاف المذهبي مع صاحبها انظر المالكي:م.س،ج2،ص339.

[467] بخصوص هذه الثورة وخطورتها على الوجود الفاطمي بالمغرب انظر: إحسان عباس:مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد،مجلة الأصالة،الجزائر،مج6،1977،ص ص ص25 - 42،أحمد الطويلي:"مدينة القيروان زمن ثورة أبي يزيد الخارجي : (النقود كشاهد)"،أعمال ندوة موقع القيروان في الثقافة الإسلامية من تاريخ التأسيس إلى اليوم – الدين والأدب،مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان،مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ،تونس،2010م،ص ص479-508،

Tourneau(R):"La révolte d'Abu-Yazid au Xème siècle." Cahiers de Tunisie,1,1953,103-Le 125.

[468] ابن عبد الجبار:م.س،ج2،ص602.

[469] الذهبي:تاريخ الإسلام،ج7،ص636.

حدثت بعد قتل المهدي للشيعي"خرج المهدي وسكن الفتنة وكف الدعاة عن طلب التشيع من العامة"[470]،وحين تجرأ ثلة من أهل القيروان على الدخول على المهدي يوجهون إليه اللوم في إطلاق يد عماله وجنوده بالإفساد والإغارة على الأموال،عمد إلى امتصاص غضبهم وخشي من اتساع دائرة التذمر الشعبي،فأقسم لهم بأنها أمور جرت دون علمه،ووعدهم بالإنصاف،واصدر أوامره بالقبض على بعض الجنود وحبسهم[471].ورغم فشل ثورة النكاري إلا أنها أجبرت الخليفة المنصور على استئلاف قلوب رعيته حيث"ضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده..وحلف على ذلك وأكد وأشهد..ووفى للناس بما وعد وعدل وأنصف..وإنما اظهر الرجوع عن سيرة أبيه وجده خوفاً مما جرى"[472]،ثم قام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية لصالح الرعية [473]،وتقديم إعانات للفقراء والمساكين[474]،وعرض الأمان على من أشهروا السلاح ضده وتعهد بعدم التعرض لمذهبهم[475]،وعمل على تعيين المالكية على المظالم والقضاء[476]،وأراد بذلك "تسكين

---

(470)المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج1،ص68.

(471)ابن عذاري:م.س،ج1،ص186.

(472) ابن عبد الجبار:م.س،ج2،ص603،إدريس:تاريخ،ص379-380.

(473) إدريس:تاريخ،ج5،ص195.

(474) الجوذري:م.س،ص51،ابن حماد:م.س،ص47.

(475) ابن الأثير:م.س،ج7،ص146.

(476) عياض:م.س،ج2،ص43،الذهبي:أعلام النبلاء،ج15،ص158.

نفوس العامة والسنة"[477]وهو ما لقي استحساناً من قبل المالكية[478]،وقد عبر الذهبي[479]عن ذلك قائلاً أن"بني عُبيد،أحسنوا السيرة مع الرعيّة،وتهذبوا وطووا ما يرومونه من إظهار مذهبهم الخبيث،وساسوا مُلكهم،وقنعوا بإظهار الرفض والتشيع"،وحسب شهادة ابن عبد الجبار[480]"لما انكشف أمر أبي يزيد عمن بالمغرب كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الأنبياء وتعطيل الشرائع"،وذهب عياض[481]إلى أن الهدف من هذه الإجراءات هو"تسكين نفوس أهل السنة والناس.وما كان منهم بعد فتنة أبي يزيد".وكان عدول المعز الفاطمي عن سياسة العنف تجاه الرعية وراء عدم حدوث ثورات ضده حيث أنه"رفق بالناس وتمكن،وصفت له المغرب فما تحرك عليه احد"[482].

خاتمة واستنتاجات:

هذه صورة حية عن ظاهرة العنف التي طبعت سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم منتقاة من مصادر مختلفة،وإن طغى على بعضها طابع المغالاة،لكن دون أن تفقد

---

(477) الذهبي:تاريخ الإسلام،ج7،ص711.
(478) الدباغ:م.س،ج2،ص26.
(479) الذهبي:تاريخ الإسلام،ج7،ص686.
(480)ابن عبد الجبار:م.س،ج1،ص107
(481) عياض:م.س،ج2،ص43.
(482) ابن عبد الجبار:م.س،ج2،ص603.

أهميتها في مثل هذه الدراسات،لعصر قلت فيه المصادر وانعدمت فيه الوثائق الأرشيفية كبقية فترات العصر الوسيط بالمغرب،ومن خلال الدراسة يمكن الخروج بالملاحظات الآتية:

1. تصب مختلف الإشارات المصدرية في تأكيد حقيقة الصراع المحموم الذي شهده حكم الفاطميين لبلاد المغرب مع المعارضين في سبيل ترسيخ السلطة وتوطيد أركانها،وهو ما تجلى في كثرة تحركات الخلفاء وقوادهم وضخامة المجهود الحربي الذي بذلوه من أجل قمع المعارضين،مما خلف العديد من الضحايا،وألقى بظلاله الوخيمة على الوضعية الاقتصادية/الاجتماعية[483].
2. تنوعت وتعددت مسببات عنف الفاطميين تجاه الرعية،إلا أنه تم تغليفها بغلاف ديني؛في عصر فرضت فيه لغة العنف والسطوة نفسها على الساحة الفقهية،وتَمَكَّنَ السلطان من أرباب القلم واحتوى القضاء والفتوى،وأمسك بمخنق الفقهاء في ردة تاريخية ما زالت تداعياتها متناسلة إلى اليوم[484].
3. لم تكن سياسة العنف متواصلة طوال العصر الفاطمي،بل اقتصرت على فترات معينة باختلاف طبائع الأئمة وما يعتقدونه مناسباً لكسب مودة رعاياهم،وظلت تلك

([483]) انظر بخصوص ذلك اللبيدى:المصدر السابق،ص24، المالكى:المصدر السابق،ج1،ص ص81، 199،138،217، 220،361،الدرجينى:المصدر السابق،ص161،الشماخى:المصدر السابق،ص260،ابن عذاري:م.س،ج1،ص ص 256-257.

([484]) أحمد الطاهري:الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد،مركز إسكندرية للكتاب،2004م،ص92.

السياسة متأرجحة بين التصلب والتسامح إلى حد ثورة أبي يزيد النكاري التي تسببت في حالة من الوئام بين الفاطميين وعلماء افريقية،وتجلى ذلك في سياسة المنصور الذي اتبع المصالحة مع الرعية[485]،حيث اشتهر "بكثرة الصلات و..النعم والأيادي المتواصلات..واخرج جميع من كانوا في السجون وأكثر من الصدقات للفقراء والمساكين"[486]،لذا وصفته كتابات السنة بأن "فيه إسلام في الجملة وعقل بخلاف أبيه...محبباً إلى الرعية"[487].

4. لم يكن عنف الفاطميين مجرد آليات منفردة لا تعبر عن نهج سلطوي،ولكنه كان مكوناً بنيوياً أساسياً لنظامهم السياسي،وشمولياً طالت شظاياه جميع شرائح المجتمع ابتداء من قمة الهرم الاجتماعي إلى أسفله،كما تنوع بين عنف موجه ضد أفراد وآخر أخذ شكلاً جماعياً،كذا تعددت أساليبه ابتداء من العنف الجسدي بتعذيب المعارضين من خلال إبادتهم وتصفيتهم والتنكيل بأجسادهم،إلى العنف اللفظي والأيدولوجي الذي طبع لغة الحكم المطلق.

5. كان عنف الفاطميين موجه بشكل كبير إلى المالكية،نتيجة اتساع قاعدتهم الشعبية،وقيامهم بدور النخبة الرافضة لسياسات الحكام الجائرة والحارسة لمصالح

([485]) الداعي إدريس،عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار،نشر فرحات الدشراوي،تونس 1979،ص194، 197، 215.

([486]) إدريس:تاريخ،ص350، 482.

([487]) الذهبي:أعلام النبلاء،ج15،ص157، 159.

الرعية والمجابهة للضيم والمظالم[488]،مقارنة بغيرهم من الفرق الأخرى،فنتيجة الأحقاد بين المالكية والحنفية[489]،وتحت ضغط الأغلبية الشعبية المالكية كان الأحناف أكثر مرونة وطواعية واستعداداً للتعاون مع الحكم الفاطمي،فضلاً عن الرغبة في الحظوة والنفوذ[490]،أما الخوارج والمعتزلة فكانوا أقلية نخبوية ضعيفة التأثير على العامة،غلبت عليهم سياسة المداراة والسلامة[491]،واعتنق بعضهم المذهب الشيعي[492]،وقبلوا المهادنة مع الفاطميين،وتقربوا إليهم والتحقوا بمجالسهم العلمية[493].

6. لم ترد بالمصادر إشارات تكشف عن تعرض يهود المغرب لأي شكل من أشكال العنف من قبل الفاطميين،بل خلافاً لذلك كانت افريقية الفاطمية مقصداً لهجرات

---

(488) محمود إسماعيل:"المالكية والشيعة"،ص74.

(489) انظر بخصوصها الخشني:م.س،ص215،عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية،الدار التونسية للنشر،تونس،ط2، 1985م،ص61 وما بعدها.

(490)نجم الدين الهنتاتي: "تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى"،مجلة التاريخ العربي،المغرب،ع 13،ص311،ثم تابع دراسة أحمد الحمروني:"المذهب الحنفي بإفريقية من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الخامس هجرياً"، مجلة الهداية،تونس، مج 3،ع 1،1975م،ص ص 67-72.

(491) الدرجيني:م.س،ص105، 114،المجدوب: م.س،ص215.

(492) تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية،ترجمة أحمد بومزقو،مؤسسة تاوالت الثقافية،2005م،ص37.

(493) الشماخي:م.س،ص ص 358-359.

يهودية متتابعة[494]،لما فشا من تسامحٍ فاطميٍ تجاه اليهود[495]،وتمتع اليهود بمكانة مرموقة لدى السلطة،وتولوا الوظائف العامة،وتملقوا الفاطميين من خلال العمل كجواسيس وعيون ضد المسلمين[496]،مما جرأ بعضهم على معتقدات المسلمين وتمادوا في إيذاء مشاعرهم الدينية دون خوف من نزول العقوبة[497]،ولقيت وضعية يهود افريقية المتميزة خلال العصر الفاطمي استهجان فقهاء المالكية الذين وقفوا من اليهود –المتعاونين مع أعدائهم الفاطميين–موقفا عدائياً دون النصارى[498]،وهو ما دفع بعضهم للفتوى بعدم إعطاء الزكاة للفاطميين لأنهم ينفقونها على اليهود[499]،ولم يتورع آخرون عن التعريض بعلاقة حميمية ربطت اليهود بالفاطميين[500]،بل

---

(494) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق احسان عباس،دار الثقافة،لبنان،(د.ت)، ج7،ص 29،

Goitein(S.D):A Mediterranean Society the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo geniza ,University of California,Paress,1983 ,1,p.32

(495)جوايتاين:دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية،ترجمة عطية القوصي،الكويت،وكالة المطبوعات،ط1، 1980،ص200.

(496) الدرجيني:م.س،ص ص124، 132.

(497) عياض:م.س، ج2،ص 43.

(498) نجم الدين الهنتاتي:"مواقف علماء المالكية من أهل الذمة بافريقية إلى منتصف القرن الخامس الهجري"، مجلة معهد الآداب الشرقية،تونس،العدد 186، 2000، ص70.

(499)الفارسي:مناقب محرز بن خلف،تحقيق روجيه ادريس،باريس،1959،ص 156، عياض:المدارك، ج2،ص 288.

(500)ابن أبي الفضائل:كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة،تحقيق محمد بن على الجوالى،مركز الدراسات والبحوث اليمنى،صنعاء،1994،ص 77، المالكى:م.س، ج2،ص ص 346، 494.

والتمادي لدرجة القدح في نسب العبيديين والتأكيد على يهوديته[501] ووصف دولتهم بـ"الدولة اليهودية" [502]،والتهكم من خلال توجيه النصائح الساخرة إلى الرعايا المسلمين تحت حكم الفاطميين أن يتهودوا إذا أرادوا الغنى وتولى المناصب الرفيعة[503].

7. يبدو أن المذابح الجماعية التي تعرض لها بقايا الشيعة الموجودة في بلدان افريقية عام407هـ/1016م على يد جماهير الغوغاء وبتحريض من علماء المالكية كانت ردة فعل طبيعي تم التنفيث من خلالها عن حالة الغليان التي سببتها أعمال العنف الفاطمي من قتل وقهر واضطهاد وتعذيب ضد الرعية،وبلغ الانتقام الشعبي درجة كبيرة حتى أن العامة انبسطت أيديهم على الشيعة فقتلوا منهم عددا كبيراً،ولم يسلم منهم حتى الذين احتموا بالمسجد الجامع بالمهدية حيث قتلوا عن آخرهم رجالا ونساء،ثم امتدت حالة التقتيل والتمثيل بالشيعة واغتصاب نسائهم إلى المنصورية والمهدية[504] .

---

(501) ابن عذارى:م.س،ج1،ص 159،ابن الأثير : م.س،ج6،ص447، الحموى:م.س،ج5،ص 230.

(502) الذهبي:تاريخ الإسلام،ج39،ص 275.

(503) السيوطى:م.س ،ج2،ص116.

(504) ابن عذاري:م.س،ج1، ص ص 268-269.

إن اختيار هذا الموضوع لا يعني أن ظاهرة العنف كانت حكراً على الفاطميين دون سواهم،فهي سياسة عامة ميزت تاريخ السلطات في العصر الوسيط بشكل عام،وهو ما دفع البعض إلى التأكيد على عدم النظر إلى العقوبات كمجرد آليات للقمع،وإنما يجب معالجتها كوظيفة اجتماعية،تجعل السلطة مضطرة لاستخدام العنف[505]،وتعتبره عادياً من أجل الحفاظ على كيانها[506]والتغلب في التنافس المفتوح[507]،وبشكل يجعل من الإرغام أول مصادرها[508]،بل وطابعها المميز[509]،بغية تأسيس سلطة قوية التمركز،ودولة موحدة غير قابلة للتساهل مع الانتفاضات،وهكذا اعتبر أحد الباحثين[510]أن واحداً من الوجوه الأساسية للسلطة وشرط توطدها واستمرارها هو على الدوام الإكراه والتهديد المذل للجسد والاستيلاء

---

(505) روبير رديكر:"من السلطة إلى العنف:أفول الساسة"،ترجمة فؤاد مخوخ،مجلة فكر ونقد،الرباط،عدد56، السنة 6، 2004، ،ص100،ويرى ميشيل فوكو أن السياسة في أبسط معانيها تعني"القدرة على تحديد سلوك الآخرين والتحكم به".انظر مقاله :"المفرد والجمع:نحو نقد العقل السياسي"ترجمة عبد اللطيف قطميش،مجلة الفكر العربي،العدد57،السنة 10، 1989، ص217.

(506) محمد المالكي:"العنف في العلاقات الدولية-قراءة في تاريخ المفهوم ودلالاته المعاصرة"،مجلة الوحدة،ع67،ابريل 1990م،ص6،علوض:م.س،ص143.

(507) مشيل فوكو، مسيرة فلسفية،ترجمة جورج أبي صالح،منشورات مركز الإنماء القومي،بيروت،د.ت،ص130،عبدالله حمودي:الشيخ والمريد:النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة،ترجمة عبد المجيد جحفة،دار توبقال،الرباط،ط3، 2003م ،ص87.

(508) القمودي:م.س،ص51.

(509) محمد حلمي عبد الوهاب:م.س ،ص58.

(510) نيكولاس بولانتزاس:م.س،ص26.

عليه وتحويله إلى أداة،ومن المنظور ذاته شبه باحث آخر[511]دورة العنف بـ"بقعة زيت متوسعة باستمرار جعلت العنف مكوناً بنيوياً أساسيا للنظام السياسي المغربي... التي تتحقق من خلالها تحولات التاريخ النوعية والانتقال من نظام مجتمعي إلى آخر".وهو ما يدفع إلى القول بضرورة توجيه البحث التاريخي نحو العقل التأديبي للسلطات المغربية القرووسطوية بشكل عام لتكوين صورة عامة وشاملة عن علاقة الحكام بالمحكومين وإماطة اللثام عن العقوبات الزجرية المنتهجة وعلاقتها بالواقع التاريخي للقبائل والمدن.

([511]) محمد سبيلا:"العنف بين الدولة والمجتمع في مغرب ما بعد الاستقلال"،مجلة المستقبل العربي،لبنان،مج 29، ع 336،2007،ص117 ،119 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:المصادر:

1. إخوان الصفا(ق4هـ/10م):الرسائل،القاهرة،1928م.
2. ابن الابار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى،ت658 هـ/1260م):الحلة السيراء،تحقيق حسين مؤنس،دار المعارف،القاهرة،ط2 1985،جزآن.
3. ابن الأزرق(أبو عبد الله محمد بن على بن الاصبحى الغرناطى،ت896 هـ/1464م):بدائع السلك في طبائع الملك،تحقيق علي سامي النشار،وزارة الإعلام،العراق،د.ت.
4. ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت630 هـ/1232م):الكامل في التاريخ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي، بيروت،1997م.
5. الازموري (أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله، ت731هـ/1330م): بهجة الناظرين وانس العارفين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم437،تاريخ

6. البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي،ت841هـ/1437م):جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ،تحقيق محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي،2002م.

7. ابن بسام(أبو الحسن على بن بسام الشنترينى،ت542 هـ/1147 م):الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ج5،تحقيق إحسان عباس،الدار العربية للكتاب،تونس،1981م.

8. ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك،ت578هـ/1182م):الصلة في أخبار أئمة الأندلس،نشر السيد عزت العطار،القاهرة،ج2،1966،حكام،تقديم إحسان عباس،بيروت،1983م.

9. البكرى(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب،ت487هـ/1094م):المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،دار الكتاب الإسلامي،(د.ت).

10. التجانى(عبد الله بن محمد بن احمد ،ت717هـ/1317م):الرحلة،دار الفرجاني للنشر والتوزيع،ليبيا،(د.ت).

11. ابن تيمية(أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم،ت728هـ/1328م):السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد احمد عاشور،مطابع دار الشعب،القاهرة،1971م.

12. ابن عبد الجبار(عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني،ت415هـ/ 1024م): ثبيت دلائل النبوة،دار المصطفى،القاهرة،د.ت .
13. الجوذرى(أبو على منصور العزيزى،ت منتصف ق4هـ/10م):سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الفاطميين،تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي،دار الفكر العربي،بيروت،1954م.
14. _ابن حماد(ابو عبد الله محمد بن على بن عيسى،ت626هـ /1228م):أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر،القاهرة.
15. الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي،ت626هـ/1228م):معجم البلدان،دار صادر،بيروت،ط2، 1995م.
16. الحميري(محمد بن عبد الله بن عبد المنعم،تق9هـ/15م):الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس،مؤسسة ناصر للثقافة،بيروت،1980 م.
17. ابن حوقل(أبو القاسم النحيبي،ت380هـ/990م):صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

18. ابن حيون المغربى(القاضى أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور ،ت363هـ/973م):الرسالة المذهبة،تحقيق عارف تامر،دار الإنصاف،سوريا،1956م.

19. ابن حيون المغربى: كتاب الاقتصار،تحقيق محمد وحيد ميزرا،دمشق، 1957.

20. ابن حيون المغربى:دعائم الإسلام،تحقيق آصف بن علي فيضي،دار المعارف،القاهرة،1963م

21. ابن حيون المغربى كتاب افتتاح الدعوة،تحقيق فرحات الدشراوي،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1975م.

22. ابن حيون المغربى:آداب إتباع الأئمة،تحقيق مصطفى غالب،دار ومكتبة الهلال،بيروت،1985م.

23. ابن حيون المغربى:شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار،تحقيق محمد الحسيني الجلالي،مؤسسة النشر الإسلامي،قم،1407هـ.

24. ابن حيون المغربى:كتاب المجالس والمسايرات،تحقيق الحبيب الفقي وآخرون،دار المنتظر،بيروت،1996م.

25. ابن حيون المغربى:المناقب والمثالب،تحقيق ماجد العطية،منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات،بيروت،2002م.

26. ابن حيون المغربى:كتاب الإيضاح،تقديم وإعداد محمد كاظم رحمتي،منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات،بيروت،2007م.

27. الخشنى(أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى،ت361هـ/971م): طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني،بيروت،د.ت.

28. ابن الخطيب(لسان الدين محمد السليمانى،ت776هـ/1374م):تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني،دار الكتاب،الدار البيضاء،1964م.

29. ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمى،ت808هـ/1405م):تاريخه،تحقيق خليل شحادة،دار الفكر،بيروت،1988م.

30. ابن خلدون:المقدمة،حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادي،بيت الفنون و العلوم و الآداب ،الدار البيضاء،2005م.

31. ابن خلكان:(شمس الدين أبو العباس احمد،ت681 هـ/1282م):وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،لبنان،(د.ت).

32. الداعى ادريس(عماد الدين القرشى،ت 872 هـ/1467م): كتاب عيون الاخبار وفنون الاثار"،جـ5،تحقيق فرحات الدشراوى،تونس، 1979.

33. الداعي إدريس:تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)،تحقيق محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1985م .

34. الداعي إدريس:زهر المعاني،تحقيق مصطفى غالب،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،1991م.

35. الداودى(أبو جعفر احمد بن نصر،ت402 هـ/1011م): كتاب الأموال،تحقيق:رضا محمد سالم،ط.دار الكتب العلمية،بيروت،2008م.

36. الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصارى،ت696هـ/1296م):معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تحقيق إبراهيم شبوح وآخرين،مكتبة الخانجي،مصر،1968م.

37. الدرجينى(أبو العباس احمد،ت منتصف ق 7هـ/13م):طبقات المشائخ بالمغرب،تحقيق: إبراهيم طلاي، قسنطينة، 1974م.

38. الذهبى (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،ت 748هـ/،1374 م):سير أعلام النبلاء،تحقيق:شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط9 ،1413هـ.

39. الذهبي:العبر في خبر من غبر،تحقيق محمد السعيد زغلول،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت.

40. الرازي(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ت395 هـ/1004 م):معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،بيروت،1979م.

41. الزجالي(أبو يحيى عبيدالله بن احمد،ت694هـ/1294م):أمثال العوام في الأندلس،تحقيق محمد بن شريفة،مطبعة محمد الخامس،فاس،ج2، ،1971م.

42. ابن ابى زرع(أبو حسن بن عبد الله الفاسى،ت 720هـ/ 1320م):الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،ط.دارالمنصور للطباعة والنشر،الرباط 1972م.

43. ابن ابى زيد(أبى محمد عبد الله، ت 386هـ/ 928م):كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ،تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ،مؤسسة الرسالة،بيروت،1983م.

44. ابن أبي زيد القيرواني:النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات،ج2،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو،دار الغرب الاسلامى،1999.

45. ابن أبي زيد القيرواني:الفتاوى،جمع وتحقيق وترتيب حميد لحمر،دار اللطائف للنشر والتوزيع،القاهرة،2012م.

46. السيوطى(جلال الدين عبد الرحمن ت 911هـ/1504م):حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،1967 م.

47. أبو شامة(عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي،ت665هـ/1267م):كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،2002م.

48. الشطيبي المغربي(عبد الله محمد بن على بن محمد بن حسين بن حيون،ت963هـ/1555م):الجمان في أخبار الزمان،مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 1416 تاريخ ،14197 ميكروفيلم،ورقة 209 .

49. الشماخى(أبو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد،928 هـ/1522 م):كتاب السير ،المطبعة البارونية،القاهرة،1301هـ.

50. الشهرستاني(تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد،ت548هـ/1085م):نهاية الإقدام في علم الكلام،حرره ألفرد جيوم،مكتبة المثنى،بغداد،د.ت.

51. ابن عذارى(أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشى،ت712هـ/1313م): كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب،ج1، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

52. ابو العرب تميم(محمد بن احمد بن تميم القيروانى،ت333هـ/942م): كتاب المحن ،تحقيق يحيى الجبوري،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط3، 2006م.

53. ابن عساكر(على بن الحسن بن هبة الله الدمشقى،ت571هـ/1176م): تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الاشعرى،دار الكتاب العربي،بيروت، ط3،1404هـ.

54. العمري(شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله،ت749هـ/1349م):مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،المجمع الثقافي،أبو ظبي،1423هـ.

55. عياض(القاضى عياض بن موسى بن عياض السبتى،ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،تحقيق محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية،بيروت،1998 م.

56. ابن غازي(محمد بن احمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي،ت919هـ/ 1583م):الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،تحقيق عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية،الرباط،ط2، 1988م.

57. الغزالى(ابو حامد محمد بن محمد،ت505هـ/1111م):كتاب الاقتصاد في الاعتقاد،عارض أصوله وقدم له إبراهيم آكاه وحسين آتاي،أنقرة،1962م.

58. الغزالي:إحياء علوم الدين،نشر مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا،سماراغ،اندونيسيا،د.ت.

59. الغزالي:التبر المسبوك في نصيحة الملوك،تحقيق محمد مصطفى أبو العلا،مكتبة الجندي،القاهرة،د.ت.

60. الفارسى(أبو الطاهر محمد بن الحسين):مناقب محرز بن خلف،تحقيق روجيه إدريس،باريس،1959م.

61. ابن فرحون(برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن فرحون المالكى،ت794/1391م):الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،تحقيق محمد أحمدي أبو النور،القاهرة،1972م.

62. ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي،ت403هـ/1013مم):تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس،عني بنشره وصححه السيد عزت العطار،مطبعة المدني،القاهرة،1954م.

63. ابن أبي الفضائل(محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني،ت470هـ/ 1078 م):كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة،تحقيق محمد بن على الجوالى،مركز الدراسات والبحوث اليمنى،صنعاء،1994م.

64. اللبيدى:أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد،ت 440 هـ/1048م):مناقب أبى إسحاق الجبنيانى،تحقيق روجيه إدريس،باريس،1959.

65. المالكى(عبد الله بن أبى عبد الله،ت ق4هـ/10م):رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية،تحقيق بشير البكوش،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط2، 1994م .

66. الماوردي(أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،ت450هـ/1058م):الأحكام السلطانية والولايات الدينية،دار الحديث،القاهرة،د.ت.

67. الماوردي:تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك،تحقيق ودراسة رضوان السيد،دار العلوم العربية،بيروت،1987م.

68. مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد،ط. الدار البيضاء، 1985.

69. مجهول:ذكر بلاد افريقية وحدودها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 80 جغرافيا غير مفهرس .

70. محمد بن سحنون(ابى عبد الله محمد بن عبد السلام، ت 256هـ/869م):كتاب الأجوبة،تحقيق ودراسة حاد العلويني،دار سحنون للنشر،تونس،2000م

71. المعز لدين الله(أبو تميم معدّ بن منصور الفاطمي/ت465هـ/975م):تأويل الشريعة،مخطوط بمعهد المخطوطات العربية،تحت رقم 357 متفرقات،25288 ميكروفيلم.

72. المعظم عيسى(الملك المعظم شرف الدين عيسى بن سيف الدين أحمد سلطان دمشق،ت624هـ/1227م):السهم المصيب في كبد الخطيب،مكتبة الخانجي،القاهرة،1932م.

73. المقدسى(أبو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشارى،ت حوالى 380 هـ/990 م):أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، ط1991،3.

74. المقريزى(تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر، ت 845 هـ/1441 م اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف،مصر ،ط2،1996م.

75. المقريزي:المقفى الكبير ،تحقيق محمد اليعلاوى،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1991م.

76. الملطي(محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين،ت377هـ/988م):التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،تحقيق محمد زاهد الكوثري،مكتبة الثقافة الإسلامية،القاهرة،1949م.

77. ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على،ت711هـ/1311م): لسان العرب،دار صادر ،بيروت،ط3، 1994م.

78. ابن النديم(أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادي ت438هـ/1047م):الفهرست،تحقيق إبراهيم رمضان،دار المعرفة،بيروت،1997م.

79. النسفي(عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان الحنفي،ت537هـ/1142م):شرح العقائد النفسية،تحقيق طه سعد،المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة،2000م.

80. النويرى(شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ،ت733 هـ/1332 م):نهاية الأرب في فنون الأدب،ج28،تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت فواز،دار الكتب العلمية،بيروت،2004م.

81. الوسياني(أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان ق12/6م):سير أبي الربيع الوسياني،تحقيق عمر بن لقمان بو عصبانة ،وزارة التراث والثقافة،مسقط،2009م.

82. الونشريسى (أبو العباس احمد بن يحيى،ت 914 هـ/1508 م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق: مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م،الاجزاء 1 ،2، 6، 7 ، 9 .

83. اليماني(محمد بن محمد ،ت ق4هـ/10م):سيرة جعفر الحاجب،نشر ايفانوف،مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة،م4،جـ2، 1936م.

84. أبو يوسف(يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري ت 182هـ/798م): كتاب الخراج،دار المعرفة،بيروت،1979م.

ثانياً:الدراسات الحديثة العربية والمعربة

1. إحسان عباس:"مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"،مجلة الأصالة،الجزائر ،مج1977،6م،ص ص 25-42.

2. أحمد الحمروني:"المذهب الحنفي بإفريقية من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الخامس هجرياً"،مجلة الهداية،تونس، مج 3،ع 1،1975م،ص ص 67-72.

3. أحمد الطويلي:"مدينة القيروان زمن ثورة أبي يزيد الخارجي : (النقود كشاهد)"، أعمال ندوة موقع القيروان في الثقافة الإسلامية من تاريخ التأسيس إلى اليوم – الدين والأدب،مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان،مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ،تونس،2010م،ص ص479-508.

4. اريك فروم:الخوف من الحرية،ترجمة مجاهد عبد المنعم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،1972م.

5. إسماعيل السامعي:الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي،مركز الكتاب الأكاديمي،الجزائر،2010م.

6. إسماعيل بونوالا:"القاضي النعمان والفقه الإسماعيلي"،ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط،ترجمة سيف الدين القصير،دار المدى للثقافة والنشر ،دمشق،1999،ص ص 125-146.

7. اليزابيث بيكار وآخرون:ظاهرة العنف السياسي من منظور مقارن،مركز البحوث والدراسات السياسية،جامعة القاهرة،القاهرة،1995م.

8. ألفرد بل:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي،ترجمة عبد الرحمن بدوي،بنغازي،1966م.

9. أوبيير دريفوس وبول رابينوف:ميشـيل فوكو:مسيرة فلسفية،ترجمة جورج أبي صالح،مركز الإنماء العربي ، بيروت،د.ت.

10. ايفان هربك:"بروز الدولة الفاطمية"،مقال ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام،م3،اليونسكو،ط2، 1997م،ص ص 349-370.

11. برهان غليون:"ملاحظات حول الدولة في المجتمعات النامية- آليات السيطرة والعنف"،مجلة الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،ع 14 ،15، 1981م،ص0-46.

12. بوبة مجاني:"المدرسة الفكرية الإسماعيلية في المرحلة المغربية"،حولية التاريخ الإسلامي الوسيط،قسم التاريخ بآداب عين شمس،مصر العربية للنشر والتوزيع،م1،ص ص 10-35.

13. بوبة مجاني:" أثر الضرائب في ثوابت و متغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية"،مجلة دراسات تاريخية،سوريا،مج20،ع 67-68، 1999م،ص ص 127-157.

14. ثروت بدوي:النظم السياسية،دار النهضة العربية،القاهرة،1986م.

15. جاستون بوتول:سوسيولوجيا السياسة،ترجمة نسيم نصر،منشور عويدات،بيروت،1980م.

16. جان شوفيلي:التصوف والمتصوفة،ترجمة عبد القادر فنيني،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،1999م.

17. جان لوك:رسالة في التسامح،ترجمة عبد الرحمن بدوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1988.

18. جميل صليبا:المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،بيروت.

19. جوايتاين:دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية،ترجمة عطية القوصي،الكويت،وكالة المطبوعات،1980م.

20. الحبيب الجنحاني:"السياسة المالية للدولة الفاطمية بالمغرب"،ضمن كتابه المجتمع العربي الإسلامي،عالم المعرفة،ع319، 2005م،ص ص207-220.

21. الحبيب الفقهي:التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي،مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية،الجامعة التونسية،تونس،د.ت.

22. حسن علوض:"عن العنف والاستبداد -مقاربة نقدية للمفاهيم والدلالات في ظل تحولات الحراك العربي"،مجلة الكلمة،قبرص،مج20،ع2013،81م،ص ص 138-155.

23. حسين الصديق:الإنسان والسلطة:إشكالية العلاقة وأصولها الإشكالية،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2001م.

24. الحسين بولقطيب:"نظام العقوبات والسجن بالمغرب الوسيط،مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط"،مجلة فكر ونقد،ع23،1999 م،ص ص43-52.

25. خليل أحمد خليل:"سوسيولوجيا العنف"،مجلة الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،لبنان،ع 27 ،28، 1983م،ص ص19-29.

26. رضوان السيد:"المجتمع والسلطة:إشكاليتا الاستمرار والوحدة"،مجلة الفكر العربي،العددان 33-34،أغسطس 1983،ص ص4-6.

27. رفيق سكري:"العنف الفكري والدعاية السياسية"،مجلة الفكر العربي،معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية،ع71،مارس 1993م،ص ص116-127.

28. روبير رديكر:"من السلطة إلى العنف:أفول الساسة"،ترجمة فؤاد مخوخ،مجلة فكر ونقد،الرباط،عدد56،السنة 6، 2004م،ص ص 51-60.

29. الزواوي بغورة:"الخطاب بين المجتمع والسلطة والمقاومة"مجلة إبداع،مصر ، مج 18، ع 6 ،يونيو 2000م،ص ص136-142.

30. زيد بن علي الفضيل:"العنف في الخطاب الفكري وتداعياته:التأثير السياسي على جدلية العلاقة بين الحقيقة و المجاز في خطابنا الفكري الإسلامي"،مجلة المسار،اليمن،مج 12،ع3 ،2011م،ص ص 83-109.

31. سالم القلموني:سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة،مكتبة مدبولي،القاهرة،1999م.

32. سالم حميش:"في التاريخ المونوغرافي،نموذج الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"،ضمن أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية،منشورات كلية الآداب،مكناس،1988م،ص ص 208-212.

33. السيد محمد عبد الرحمن:"التأويل وأبعاده العقائدية والفلسفية عن المعز لدين الله الفاطمي"،مجلة كلية الآداب،جامعة حلوان،ع5،يناير 1999،ص ص 161-205.

34. صلاح الجابري:حفريات في الاستبداد،معهد الأبحاث والتنمية الحضارية،بيروت،2010م.

35. عارف تامر:القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1982م.

36. عبد الجواد ياسين:السلطة في الإسلام:العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ،الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،1998م.

37. عبد الحي شعبان:الدولة العباسية،الفاطميون 132-448هـ،الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت،1986م.

38. عبدالله حمودي:الشيخ والمريد:النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة،ترجمة عبد المجيد جحفة،دار توبقال،الرباط،ط3، 2003م.

39. عبدالله العروي:مفهوم الدولة،المركز الثقافي العربي،الدر البيضاء،ط9، 2011م.

40. عبد المجيد الصغير:الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام،قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة،دار المنتخب العربي،ط1 1994م.

41. عبد الناصر حريز:الإرهاب السياسي دراسة تحليلية،مكتبة مدبولي،القاهرة،1996م.

42. علي أومليل:"الإسلام والدولة الوطنية"،مجلة الفكر العربي،لبنان،العددان33-34،أغسطس1983،ص ص439-449.

43. على أومليل:"السلطة السياسية والسلطة العلمية:الغزالي،ابن تومرت،ابن رشد"،ضمن ندوة:أبو حامد الغزالي:دراسات في فكره وعصره وتأثيره،كلية الآداب،الرباط،1988.

44. عمر حمادي:"حول نعت الدولة الفاطمية بالتشريق ونعت الداخلين فيها بالمشارقة"،حوليات الجامعة التونسية، تونس،ع 39،(1995)،ص ص281 - 304 .

45. فرانسوا رانجون:"السلطة والعنف"،ترجمة بدر الدين عرودكي،مجلة الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،لبنان،ع27، 28، 1983م،ص ص 79-95.

46. قبي آدم:"رؤية نظرية حول العنف السياسي"،مجلة الباحث،الجزائر،م1،2002 م، ص ص 102-110.

47. كمال عبد اللطيف:في تشريح أصول الاستبداد:قراءة في نظام الآداب السلطانية،دار الطليعة،بيروت،1999م

48. كولن ولسون:سيكولوجية العنف،ترجمة رفعت السيد علي،جماعة حور الثقافية،2001م.

49. مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،2005م.

50. محمد أركون:نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي،ترجمة هاشم صالح،دار الساقي،بيروت،1997م.

51. محمد حلمي عبد الوهاب:ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت،2009م.

52. محمد رجالة:"ابن خلدون ومسألة التعذيب والقتل"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ،لمغرب،ع8،2008 م، ص ص105-121.

53. محمد سبيلا:الأيدلوجية،المركز الثقافي العربي،بيروت،1992م.

54. محمد سبيلا:"العنف بين الدولة والمجتمع في مغرب ما بعد الاستقلال"،مجلة المستقبل العربي،لبنان،مج 29،ع 336 ،2007م،ص ص116-123.

55. محمد طه الحاجري:مرحلة التشيع في بلاد المغرب العربي وأثرها في الحياة الدينية،دار النهضة العربية،بيروت،1983م.

56. محمد المالكي:"العنف في العلاقات الدولية-قراءة في تاريخ المفهوم ودلالاته المعاصرة"،مجلة الوحدة،باريس،ع67،ابريل 1990م،ص ص 6-21.

57. محمود إسماعيل:"المالكية والشيعة بافريقية إبان قيام الدولة الفاطمية" المجلة التاريخية المصرية،مصر،مج 23، 1976، ص ص 73-105.

58. محمود إسماعيل:"محنة المالكية في افريقية المغربية"،ضمن كتابه:مغربيات،مطبعة فضالة،فاس،1977،ص ص57-83.

59. محمود إسماعيل:"من سمات الخطاب السلطوي إزاء نشاط المعارضة في الإسلام"،أدب ونقد ،مصر،مج 5،ع 42، 1988م، ص ص28-35.

60. محمود إسماعيل:"أثر الايدولوجيا في صياغة بعض مصطلحات الفرق الإسلامية"،ضمن كتابه دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي،سينا للنشر ،،القاهرة،1994،ص ص93-114.

61. محمود إسماعيل:"فقهاء الرب وفقهاء السلطان"،أدب ونقد،مصر ،ع 226، 2004 م،ص ص29-38.

62. محمود إسماعيل:"صور المقاومة في المخيال الشعبي-سيرة علي الزيبق انموذجاً"،أدب ونقد،مصر ،مج23، ع2006،252م،ص ص93-102.

63. محمود عكاشة:خطاب السلطة الإعلامي،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،القاهرة،،ط2007،2م.

64. مصطفى حجازي:التخلف الاجتماعي:مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور،ط9، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،2005م.

65. منصور اولسون:السلطة والرخاء،ترجمة ماجدة بركة،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،2003 .

66. موسى لقبال:"وحدة الخلافة الإسلامية تحت راية الفاطميين،هدف الإستراتيجية الإسماعيلية تجاه العباسيين"،مجلة تاريخ وحضارة المغرب،جمعية التاريخ الجزائرية،الجزائر،عدد12، 1974م.

67. ميشيل فوكو:"المفرد والجمع:نحو نقد العقل السياسي"ترجمة عبد اللطيف قطميش،مجلة الفكر العربي،لبنان،ع57،م 10،1989م،ص ص 217 – 237.

68. ميشيل فوكو:إرادة المعرفة،ترجمة جورج أبي صالح،مركز الإنماء العربي،1990م.

69. ميشيل فوكو:المراقبة والمعاقبة ولادة السجن،ترجمة علي مقلد،مركز الإنماء القومي،بيروت،1990م.

70. مشيل فوكو، مسيرة فلسفية،ترجمة جورج أبي صالح،منشورات مركز الإنماء القومي،بيروت،د.ت.

71. نجم الدين الهنتاتى: "تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى"،مجلة التاريخ العربي،ع 13،

72. نجم الدين الهنتناتي:"مواقف علماء المالكية من أهل الذمة بافريقية إلى منتصف القرن الخامس الهجري"، مجلة معهد الآداب الشرقية،تونس،العدد 186، 2000م،ص ص59–77.

73. نيكولاس بولانتزاس:نظرية الدولة،ترجمة ميشيل كيلو،التنوير للطباعة والنشر،بيروت،2010م.

74. هادي العلوي:فصول من تاريخ الإسلام السياسي،مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي،قبرص،1999.

75. هيصام موسى:التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس الهجريين،مؤسسة كنوز الحكمة،الجزائر،2013م

76. ياسر الهلالي:"عنفنا الأليف ومستقبلنا المخيف"،مجلة فكر ونقد،المغرب، 55،يناير 2004م،ص ص 99-102.

ثالثاً الدراسات الأجنبية:

1. Amari (M):Storia die Musulmani di Sicilia, Catani, 1933 – 1935.
2. *Goitein(S.D)*:A Mediterranean Society the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo geniza ,University of California,Paress,1983.
3. Ivanow (W):Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, London,1942.
4. Julien(Ch) :Histoire de l'Afrique du Nord :des origines à 1830,Payot, Paris,1952.

5. Levin(R)&Campbell(T):Ethnocentrism:Theories of Conflict Ethnic Attitudes and Group Behavior New York,1972.
6. Marc Bloch :Slavery and Serfdom in the Middle ages, London ,1975.
7. Marcais (G):La Berberie musulmane el l'Orient au moyen age,Paris 1946.
8. Poonawala(Ismail) :Bibliography of Ismaili Literature,Malibu,Californa,1977.
9. Wilkinson(P): terrorism and the liberal state, New York,1977.
10. Sebag (P):La grande mosquée de Kairouan,1963.
11. Teerrasse(H):" Un Tournant de l'histoire musulmane",Hespéris,T.34,1947,pp. 305-338
12. Terrasse(H):History of Morocco,Casablanca,1952.
13. Tourneau(R):"La révolte d'Abu-Yazid au Xème siècle." Cahiers de Le Tunisie,1,1953,103-125.

14. vonderheyden(M): La Berbèrie orientale sous la dynastie des Benou–l– Aghlab (800–909) , Paris 1927.